الفصل الثاني

obeikandl.com

سليمان القانوني

- الصرب والكروات
- القضية القومية والأقليات في يوغسلافيا السابقة
- العلاقات الدولية وحروب البلقان حتى الحرب العالمية الأولى

obeikandl.com

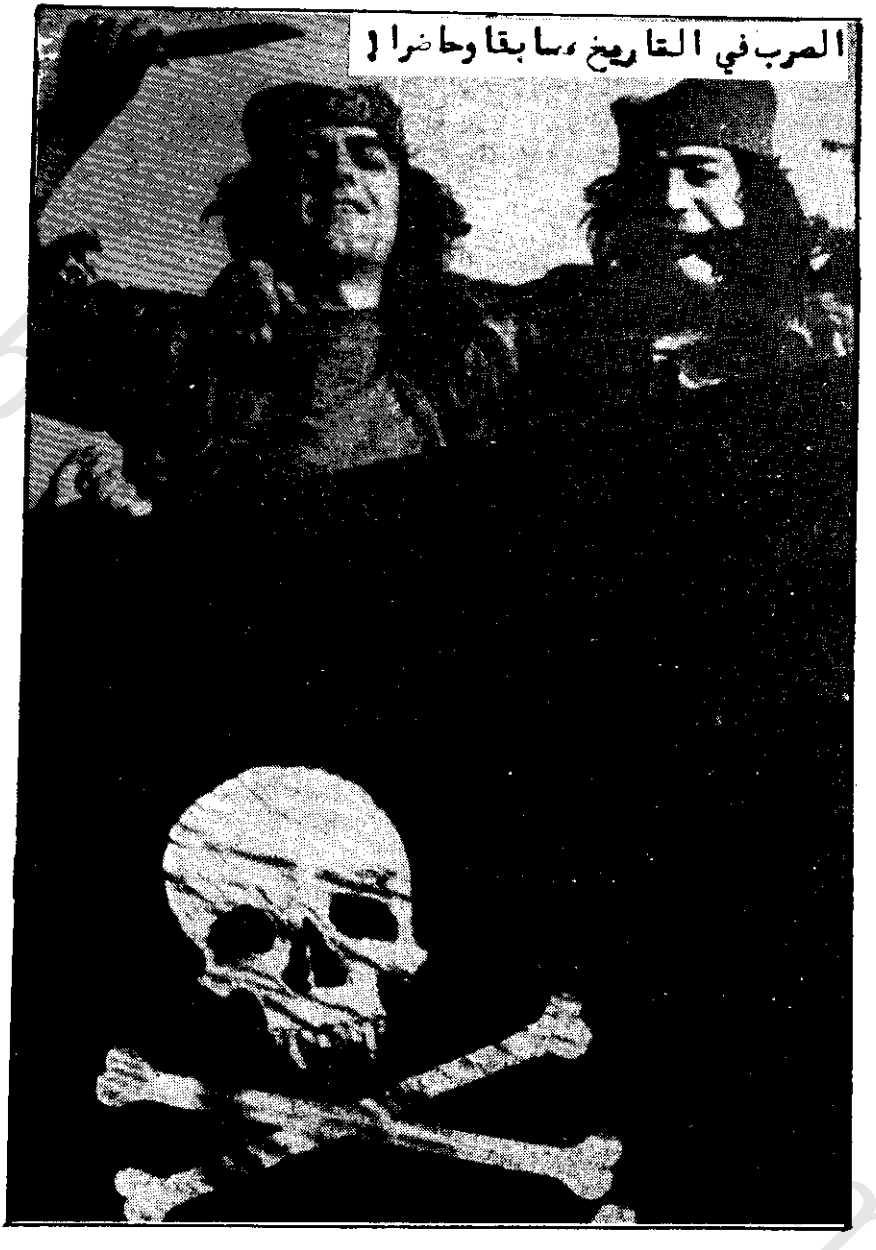
الحرب في التاريخ سابقا وحاضرا !

الصرب[1] والكروات[2]

استوطن الصرب والكروات البلاد المعروفة اليوم بـ «يوغسلافيا» وتحركت الكنيسة الغربية ودعت ارسالياتها.. لتحويل الأهالي الى النصرانية فتقدمت وانتشرت المسيحيـة صوب «دالماسيـا» على الشاطىء الأدريـاتيكي وكرواتياوتدعمت بأفواج من النبلاء الوافدين من امبراطورية الفرنجة.

.. فالصرب استوطنوا المناطق الأكثر عمقـا في الجنوب والشرق عند قدومهم في القرن السابع الميلادي.. وأصبحوا سكان المنطقة المعروفة اليوم باسم «صربيا».. وفي منتصف القرن التاسع الميلادي ظهر «فلاسنمير» الذي وحّد القبائل الصربية أمام الخطر البلغاري المحتمل، وتطلع الى الدعم البيزنطي الذي ساهم في جرّ صربيا الى الحضارة البيزنطية.. ويبدو أن التأثير البيزنطي اقتصر على الدعوة الى النصرانية غير أن انتشار النصرانية كان تلقائيا بين صفوف الكروات.. وفي داخل الأراضي الصربية، ولكنهم اتبعوا المذهب الكاثوليكي بينما اتبع الصرب المذهب الأرثوذكسي.

---

(١) ـ الصرب: شعب استوطن «صربيا» وعاصمتها «بلغراد» يتبعون الكنيسة الشرقية وهم على خلاف وصراع دائم مع الكروات الكاثوليك ـ جيرانهم ـ وكان للصرب مملكة قديمة في اوروبا الوسطى على الضفة اليمنى لنهر الدانوب باسم «صربيا»..

(٢) ـ الكروات: شعب يتبع القومية الكرواتية، يتجمع الآن في جمهورية «كرواتيا» وعاصمتها «زغرب» وهم من المسيحيين الكاثوليك ويتبعون كنيسة روما

..مرّت صربيا بمرحلة صعبة، حيث عمت البلاد الفتن الداخلية والاشتباكات الدموية المسلحة مع السلطة التي استطاعت آخر الامر أن تحسم هذه المشكلات، وتربّع الطاغية «ستيفان الثاني[٣]».على عرش صربيا عام ٧٣٢هـ = ١٣٣١ م، وشغل بيزنطة باشعال نار الحرب الأهلية، وتمكّن بالدهاء والقوة ابتلاع «مقدونية» ومعظم «ألبانيا».وفي عام ٧٤٧ هـ = ١٣٤٦ م، تُوّج ملكا من قبل الكنيسة الصربية الجديدة.[٤]

ومات دوشان مخلّفا امبراطورية شملت اليونان والبلغار والألبان فضلا عن الصرب فضاعف أراضي صربيا، وسيطر على نصف بحر ايجه وكان لا يزال نصب عينيه هدفا غير محقق بعد، ألا وهو حكم القسطنطينية الذي كان يحضّر له

ومضت السنون وتحوّلت صربيا المتّحدة القويّة .. الى اتّحاد وممالك وامارات بيزنطية، ولم يكن المسيطر هذه المرّة سوى الدولة العثمانية الفتيّة.

وبقيت الآمال متعلّقة بمملكة البوسنة الصربية بوصفها الرّائدة المحتملة للبلقان.. وأخيراً أصبحت مقدونيا بايدي العثمانيين عام«٧٧٢ هـ = ١٣٧١ م»، ثم جاءت نهاية دول البلقان النصرانية، عندما اكتسح السلطان «مراد الثاني» عام «٧٩١هـ = ١٣٨٩ م»، القوي الصليبية التي قادها الأمير الصربي «لازار» في معركة قوصوه «كوسوفا»، وتقبل القادة البلقانيون الحكم العثماني الواحد تلو الآخر،واستولىالعثمانيون على أقوى وأمنع الحصون في صربيا والبوسنة عام «٨٦٧هـ = ١٤٦٣ م».[٥]

---

(٣) ـ ستيفان الثاني: هو ستيفان دوشان بن استيفان أروش..كان في عهد والده وليًا للعهد، ثم خلف والده بعد أن شنقه، وحكم البلاد الصربية بقبضة من حديد لمدة جيل كامل. كان بشع المنظر، عملاقاً سيطر على البوسنة وألبانيا ومقدونيا.. وغيرها.

(٤) ـ انظر: العثمانيون والبلقان (ص ٢٣ ـ ٢٦).

بقيت بلاد الصرب مركزاً للصراع وبؤرة متفجرة بسبب التحريض الخارجي الذي كانت تعصف رياحه، من النمسا أحياناً ومن روسيا في أحيان أخرى، واستطاعت هذه القوى الخارجية أن تجد لها باستمرار من يستجيب لتحريضها في داخل بلاد الصرب فقد ظهر منذ البداية أمير صربي استقل باقليم «الجبل الأسود»وضمّ اليه قسماًمن بلاد الصرب وجعل عاصمته مدينة «اشقودرة»،غير أن القوات العثمانية تمكنت من طرده، فاعتصم بمنطقة الجبل الأسود، وتحصّن بها وتمكن من صدّ القوات العثمانية مستفيداًمن وعورة المسالك وصعوبة المفاوز حتى اذا ماكانت سنة «٩٠٥هـ = ١٤٩٩م» انتقلت حكومة الجبل الأسود الى أيدي رئيس الأساقفة، وانحصرت السلطة الدينية والملكية في قبضتة....

وابتدأت العلاقات بينه وبين روسيا بتأثير عامل الدين والمذهب، ولم تلبث هذه العلاقات في عهد «بطرس الأكبر» ـ قيصر روسيا ـ أن تحولت الى نوع من التبعية وصار الصربيون يلجؤون الى قيصر روسيا اذا مانزل بهم ظلم أو وقع عليهم اعتداء من قبل حاكمهم.. ولمّا تعين الأمير «دانيال[٦].» حاكماًعلى الجبل الأسود، عمل على فصل السلطة الدينية عن السلطة الملكية.. وكان دانيال ـ هذا ـ بحكم نشأته في فيينا ـ يميل الى النمسا، فلجأ اليها لتدعمه على حفظ استقلاله.وكان ذلك مناقضاً للاتفاقيات المعقودة مع الدولة العثمانية التي ردّت بأرسال جيشها بقيادة «عمر باشا» لمحاربة دانيال سنة «١٢٧٠هـ = ١٨٥٣م»، وكادت القوات العثمانية أن تنهي احتلال الاقليم عندما تدخلت روسيا والنمسا فأرغمتا الدولة العثمانية على ايقاف الأعمال القتالية[٧]

---

(٥) انظر: العثمانيون والبلقان (ص٢٦ ـ ٢٨).

(٦) دانيال (دانيلو): (١٢٤٤ ـ ١٢٧٧هـ ١٨٢٨ ـ ١٨٦٠م).

(٧) ـ انظر فن الحرب الاسلامي ـ العثماني ـ (٥/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨).

معاهدة باريس

بعد انتهاء حرب القرم[٨]، أخذت الدول الأوربية في ايجادالأسباب التي تُضعف الدولة العثمانية حتى لاتقوى على معارضةهذه الدول وتبقى كحاجز بين روسيا والبحر الأبيض المتوسط ـ ليس الآ...ثم أوجدت هذه الدول مشاكل كثيرة في بلاد الصرب والجبل الأسود، كما بثّوا بذور الفساد في بلاد البوسنه والهرسك فاضطربت هذه الولايات كلّها وقامت تطالب بامتيازات كثيرة، وكان مسعى الدول الأوربية من وراء هذه الاضطرابات، لتبقى هذه الولايات كموانع وعقبات بين الدولة العثمانية وممالك أوروبا.

وكان تدخل الدول الأوربية في الشؤون العثمانية الداخلية يزيد الأمور تعقيداً. ومثال هذا، التدخل، منع الدولة بقمع الثورات في ولاياتها، وتهديدها بقطع العلاقات الدبلوماسية،بل أن فرنسا وروسيا أرسلتا السفن عام

---

(٨) ـ حرب القرم: «١٢٧١ ـ ١٢٧٣هـ = ١٨٥٤ ـ ١٨٥٦ م» نشبت بين روسيا من جهة، والدولة العثمانية وانكلترا وفرنسا وبيامونته من جهة أخرى، سببها التنافس على السيطرة في الشرق وحماية الأماكن المقدسة، أدت إلى سقوط قلعة سباستبول وهزيمة الروس ومعاهدة باريس سنة «١٨٥٦ م» (المنجد في الأعلام ط ١٦، ص ٢١٦)،
والقرم شبه جزيرة شمالي البحر الأسود تتبع الآن جمهورية أوكرانيا، تفصل بين بحرين: الأسود وازوف.. عاصمتها «سيمفربول» ـ الآن ـ وكان اسمها «آق مسجد» أي المسجد الأبيض وغيّر الروس اسمها ـ وأهل القرم أتراك مسلمون.. والقرم معناها «القلعة» كان سكانها خمسة ملايين نسمة عام ١٩٥٧ م وكان في القرم «١٩٥٨ م» مسجداً لم يبق منها إلا آحادا، وكثرتها قد أزيلت أو تحولت إلى دور لهو وأصطبلات للخيل وحظائر للماشية بعد الثورة البلشفية ولم يبق من سكانها سنة ١٩٤٠ م سوى (٤٠٠,٠٠٠) نسمة أما البقية من سكانها وُزّعت وشُرّدت على مختلف بلدان الاتحاد السوفيتي ـ سابقاً.
لزيادة المعرفة انظر: الاسلام في وجه الزحف الأحمر/ محمد الغزالي، المكتبة العصرية بيروت وصيدا، ١٩٦٦م (ص ١٣٩ ـ ١٤٢)

«١٢٧٥هـ = ١٨٥٨م» الى سواحل الجبل الأسود لمنع الجيش العثماني من دخول هذه الامارة لمعاقبة أميرها على مساعدته ثوّار البوسنة والهرسك...

كانت الدولة العثمانية في وضع حرج لعدم وجود صديق لها بين جميع الدول المسيحية المتألبة عليها، حتى صار سفراء الدول الأوربية لدى السلطان في استانبول، شركاء لوزراء الدولة في تصريف أمور البلاد العثمانية.

أما المعاهدة التي أعقبت حرب القرم فهي «معاهدة باريس» التي جاء في بعض موادها مايلي:

المادة ١١: البحر الأسود يكون على الحياد.. ومباحا لتجارة جميع الأمم..

المادة ٢٢: ولايتا الأفلاق والبغدان تبقيان تحت رئاسة الباب العالي..

المادة ٢٣: الباب العالي يتعهد بتأمين لهاتين الولايتين ادارة محلية مستقلة، لها حرية الدين والأحكام..

المادة ٢٦: يكون للولايتين المذكورتين قوات أمن داخلي من أهلها.

المادة ٢٨:اقليم الصرب يبقى مرتبطا بالدولة العثمانية ويقيم حكومة وطنية لتحافظ على استقلاله، وله حريته الدينية والأحكام الشرعية وحرية التجارة والسفر.

المادة ٣٤: قد قرّ الرأي على اثبات هذه المعاهدة وتجري مبادلتها في باريس في مدة أربعة أسابيع أوقبل ذلك اذا أمكن..[٩]

حرر في باريس في ٣٠ شهر مارس «آذار١٨٥٦م» «٢٢رجب ١٢٧٢هـ[١٠]».

---

(٩) الزعماء الذين وقّعوا معاهدة باريس هم: امبراطور فرنسا، ملك المملكة المتحدة، امبراطور جميع الروسيا،ملك سردينيا، وسلطان الدولة العثانية.

مؤتمر الأستانة وتعديل معاهدة باريس

انعقد في الاستانة «استانبول» مؤتمر ضمّ مندوبي الدول الموقعة على معاهدة باريس، وجرت مناقشات طويلة، تقدم خلالها مندوب فرنسا باقتراح لجلاء القوات العثمانية عن قلعة بلغراد. غير أن بقية المندوبين لم يؤيدوا اقتراحه، وفي النهاية، تقرر بالأغلبية جلاء القوات العثمانية عن قلعتين فقط وبقائها في أربع قلاع هي :بلغراد، فتح اسلام، شباتس، سلمندرية[١١]. وأن يلتزم المسلمون القاطنون خارج القلاع الأربع المذكورة، بيع ممتلكاتهم، والنزوح عن البلاد، أو الاقامة ضمن حدود الحصون الأربعة وعلى حكومة الصرب أن تدفع لهم تعويضات عن ذلك، وتمّ التوقيع على هذا الأتفاق في «١١ربيع الأول ١٢٧٩هـ و٦أيلول١٨٦٢م[١٢]». - ومن المناطق التي وقع عليها أمر النزوح، مدينة «أوجيتسة»užicu

مدينة «أوجيتسة»uzicu: في العهد العثماني

(فتحت مدينة «أوجيتسة» أثناء (الفتح العثماني) للبوسنة بقيادة السلطان الفاتح سنة ١٤٦٣ م (٨٦٧هـ)، في ذلك الوقت كانت أوجيتسة بلدة صغيرة

---

(١٠) انظر: تاريخ الدولة العثمانية العلية/ محمد فريد، ط ١ مصر ١٨٨٣ م (ص ٣٢٠ - ٣٣٠)

(١١) فتح اسلام: مدينة تعرف اليوم باسم «تورنو سيفرين» على نهر الدانوب، شرقي بلغراد
شباتس: SABACتقع على نهر «سافا» الى الجنوب الغربي من بلغراد
سلمندرية = سمندرية: (لم أعثر على هذه المدينة في مصور يوغسلافيا بهذا الاسم وأما الذي ذكر على المصور - وحسب ماأشير إلى بعده عن بلغراد بـ «٤٥ كم» فهو لمدينة سميدرفو، SMEDEREVOوهي - على الأرجح - تطابق الوصف، حيث أشير إلى جانبها صورة قلعة)

(١٢) انظر: فن الحرب الاسلامي في العهد العثماني (م ٥ ص ٣٤٠ - ٣٤١).

في «صربيا الغربية». وقد انتشر الاسلام في هذه المنطقة خلال القرن الخامس والسادس والسابع عشر، ويمكن متابعة هذه الظاهرة من خلال الوثائق للأراضي العثمانية المسجلة.

سجلت أربع عائلات مسلمة في قرية أوجيتسة سنة ١٤٧٦م (٨٨١هـ)، وبعد مائة سنة ازداد عدد هذه العائلات الى (٥٦٨) عائلة .. وقد أصبح هذا العدد ثابتا على حسب احصائية سنة ١٧٧٦م (١١٩٠هـ)، حيث أصبحت «أوجيتسة» ثاني بلد من حيث كثرة عدد السكان في «صربيا» وكان أكثر سكانها من المسلمين السلافيين الجنوبيين جنسا وأصلا. وكان عدد الجوامع في ذلك الوقت (١٦ جامعا)، كما كان فيها عدد كبير من المساجد والتكايا. ويذكر تاريخ الأدب عددا كبيرا من العلماء والشعراء في هذا البلد، لهم مؤلفات وشروح، ودواوين شعر، ومنقولات.)[١٣]

تهجير المسلمين من «أوجيتسة» إلى البوسنة، سنة ١٨٦٢م (١٢٧٨-١٢٧٩هـ):

أصبحت «صربيا» في منتصف القرن التاسع عشر (أمارة) تتمتع بحكم ذاتي تحت السلطنة العثمانية المركزية، وكانت «أوجيتسة» ثاني مدينة في صربيا من حيث عدد المسلمين وفي عام ١٨٦٢م (١٢٧٨ - ١٢٧٩هـ)، حدث في (كشوكور - تشيهي في بلغراد) حادثة أدت الى مواجهة بين الجيش العثماني والشرطة من ناحية، وبين السكان الصرب وقوات الأمن من ناحية أخرى. وبسبب هذه الحادثة وغيرها من الحوادث عقد اجتماع بين الدول الأوربية وبين السلطنة العثمانية في موقع «كانيلجة» - قرب استانبول. واسفر الاجتماع عن قرار تهجير كافة السكان المسلمين المدنيين من صربيا. وبناء

---

(١٣) البلاغ (غلاسنيك) (ص٥٢)، العدد (١) كانون الثاني وشباط ١٩٩١ (تصدر في سراجيفو عن رئاسة الطائفة الاسلامية)

على وثائق السلطات العثمانية لسنة ١٨٧٢م (١٢٨٩هـ) هاجر من «أوجيتسة» الى بوسنة (٢٩٦٦) شخصا، ولم يعوّض المهجّرون عن عقاراتهم تعويضا مناسبا[١٤].

معاهدة باريس ومؤتمر الاستانة في قفص الاتهام

(من يطّلع على التاريخ العثماني في القرن التاسع عشر وبخاصة في النصف الثاني من القرن المذكور، يرى أن معاهدات كثيرة ومؤتمرات متعددة تنادى الغرب لابرامها مع الدولة العلية، وإذا بحثنا عن الأسباب البعيدة والقريبة، المباشرة وغير المباشرة، نرى أن ساسة الغرب يلفّون ويدورون لخلق الأسباب الموجبة لتقييد الدولة التي أخذت على عاتقها حماية الاسلام والمسلمين، بوضع العراقيل في كل مكان استطاع الغرب أن يدسّ فيه ويثير المتاعب أمام الدولة الاسلامية، وإذا أمعنا النظر في مواد معاهدة باريس المبرمة في عام «١٨٤٦ م» نجد أن جميع موادها تضع الدولة العلية في مواقع الظالم، وأن ولاياتها وشعوبها في موقع المظلومين، وأن الدول الكبرى جاءت لتقيم العدل وتنصف المظلوم).!

(إن الحقيقة الجلية في كل معاهدة ومؤتمر، تبين التآمر الصريح ضد الدولة العثمانية، لالشيء إلا لأنها رفعت راية الاسلام في بقاع جمّة من أوروبا، مما أقلق زعمائها وأرعبهم ضياع مكتسبات الكنيسة والملوك والأمراء. ومع أن الدولة ـ دولة الخلافة ـ قبلت معاهدة باريس، إلا أن الغرب مازال يحيك الدسائس والمؤامرات ويشعل نار الحقد بين الحاكم والمحكوم ويخلق سبباً جديداً لتعديل المعاهدة ليزيد من انحسار الدولة الاسلامية،

---

(١٤) المصدر السابق العدد(٢)، آذار ونيسان ١٩٩١ (ص١٧٩)، وتوجد لوائح بأسماء عدد من المهجّرين (٦٨٣شخصا) و(١٣) جامعا ومدرسة (دون تعويض)، (ص١٧٠ ـ ١٧٨)

فتنادت دول أوروبا الكبرى لتعديل معاهدة باريس ولعقد مؤتمر الاستانة ولماّ يمض أكثر من ست سنوات على إبرامها، وكان للغرب ماأراد وضيّق الخناق على العثمانيين وإجلائهم عن كثير من الحصون والقلاع وأبقوها في أربع منها فقط، ووقع المسلمون في المحظور حيث قُيّدت تحركاتهم وأُجبروا على بيع ممتلكاتهم وبالتالي اضطرارهم للنزوح عن البلاد الصربية، فكان مؤتمر الاستانة لتعديل معاهدة باريس وشدّ أزر الصرب ضد حكومة استنابول فقط، أي لاذلال العثمانيين وإيقاف المد الاسلامي في أوروبا.

كان مسلسل المعاهدات التي سبقت معاهدة باريس أو أُبرمت بعدها، ماهو إلا لتحقيق مايصبوا إليه العالم النصراني من كسر شوكة الدولة الاسلامية ومحاصرة أهلها المسلمين، وذلك ثأرا لهزائمه السابقة، ومحاولة أخفات صوت الحق!).

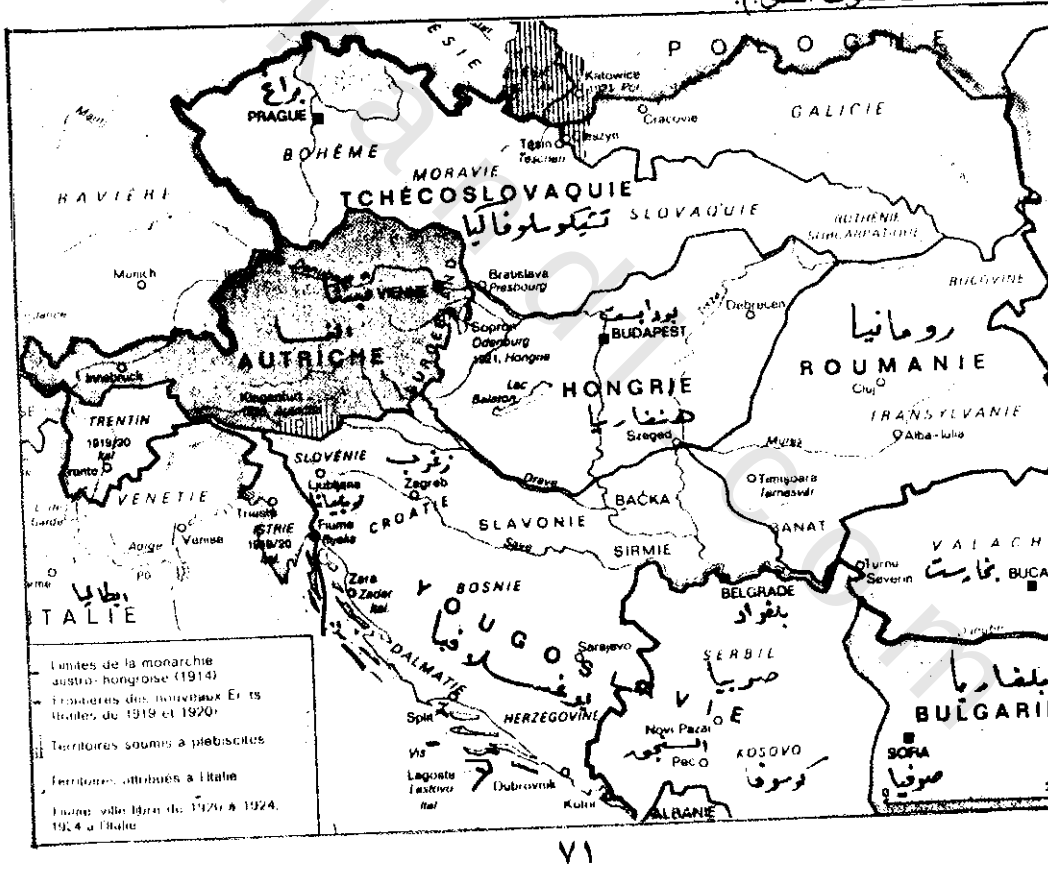

معركة بين سفينتين من الأسطول الأسلامي والأسطول المسيحي

أمارة صربيا و (ثورة قره جورج).

..لعب الجبل الأسود دوراً ضعيفاً في تاريخ الحركة القومية في البلقان. ولكن كان دور صربيا مغايراً بعد أن اعتُرف بها كمملكة وراثية في عام «١٢٩٩ هـ ١٨٨٢ م».

تمثل صربيا في خلاف الدول والقوميات في البلقان رهاناً صعباً وعقبة كأداء معاً، كما أن دروها كان رئيسياً.

وإذا استعرضنا مراحل تكون هذه الأمارة والتي أصبحت مملكة ـ كما ذكرنا ـ لعرفنا أن نشوء هذه الأمارة كان من ثورة في بداية القرن التاسع عشر في «١٨٠٤ م ـ ١٨١٢ م» (١٢١٩ ـ ١٢٢٧ هـ)، واعتبرت هذه الثورة الانفصالية الأولى بقيادة «قره جورج»، وبهذه الثورة يكون الصرب حملوا لواء أول عصيان مسلح ضد العثمانيين في البلقان، لعاملين أساسيين هما: الروح القومية الجامحة للاستقلال ولاستعادة مجد غابر، والشعور بالظلم من قبل ولاة وجنود الدولة العثمانية»، ومما عجل في انفجار الثورة، العثمانيون أنفسهم، اذ أوعز السلطان لواليه على البوسنة بتسليح الصربيين والاستعانة بهم على «الانكشاريين» والقضاء عليهم، فلما قام الصربيون بمساعدة العثمانيين على ذلك وأخرجوا الانكشاريين من المدن ثم القضاء عليهم، وجدوا بأيديهم السلاح.. فخرجوا على الدولة نفسها وتزعم ذلك تاجر المواشي «قره جورج»، أثناء ذلك كانت الدولة العليّة العثمانية منشغلة بحربها مع روسيا ولم تتفرغ لشؤون الصرب ـ الذين طلبوا مساعدة روسيا

ـ وهزموها هزيمة منكرة سنة «١٢٣١ هـ = ١٨٠٦ م» واضطرت لمنح قره جورج الاستقلال الداخلي وسحبت حامياتها من جميع القلاع ماعدا قلعة بلغراد.

ولكن روسيا ـ صديقة الصربيين ـ عقدت مع السلطان معاهدة بخارست ١٢٢٧ هـ ١٨١٢ م» لتتفرغ لقتال نابليون، وتتفرغ الدولة العثمانية للانتقام من قره جورج، فأرسلت جيشاً لاستعادة نفوذها، وقضت على جيش الصرب بقيادة قره جورج الذي فرّ الى النمسا..و ضاع الاستقلال الصربي الذاتي، وجاء «ميلوش أبرونوفيتش Obernovitch[١٥].» بعد فرار قره جورج،وتزعم الحركة في صربيا «ميلوش اوبرنوفيتش» ولكن الحركة كانت تسير في طريق آخر غير طريق القوة والحرب، فأعلن ميلوش أمام ممثل السلطان «أن الصرب لايرغبون بالانفصال عن الدولة العثمانية، وإنما يرغبون بالحكم الذاتي» وبعد مفاوضة سلمية بين ميلوش والباب العالي، أُعطي الصرب حق الحكم الذاتي تحت إدارة ميلوش بمساعدة مجلس من اثني عشر شخصاً يُنتخبون من قبل أعيان الصرب لإدارة البلاد والمحافظة على النظام، ودفع الجزية سنوياً للسلطان.

واحتفظ السلطان «محمود الثاني[١٦].» لنفسه بحق تعيين الوالي، وإبقاء حامية عثمانية تمثل نفوذه في بلغراد، وقضى بذلك على أمل روسيا بالتدخل في شؤون البلقان بحجة مساعدة الصرب[١٧]

---

(١٥) ميلوش أبرينوفيتش: كان من كبار تجار الخنازير.. تقرب من الباب العالي بهداياه، فعينته الدولة جابياً للضرائب في صربيا، فزاد نفوذه بين أبناء قومه.. ومازال يتقرب من السلطان حتى صار أميراً وراثياً سنة ١٨٣٠ م».
انظر: العالم الحديث/ أنور الرفاعي وشاكر مصطفى، دمشق ١٩٥٠ (ص٢٧٧)

(١٦) محمود الثاني: ١١٩٩ ـ ١٢٥٥ هـ و ١٧٨٤ ـ ١٨٣٩ م» قضى على الانكشارية على يد واليه» بكير باشا» ـ والي البوسنة ـ عام ١٢٤٢ هـ و ١٨٢٦ م.

(١٧) انظر: العالم الحديث (ص ٢٧٦ ـ ٢٧٨)

ميلوش وقره جورج:

اشترك كل من هذين الزعيمين في تأسيس أمارة الصرب، ولكنهما كانا عدوين لدودين.. وعاد قره جوج إلى صربيا عام ١٢٣٢ هـ = ١٨١٧ م لقتال العثمانيين.. ولكن ميلوش قتله وقدم رأسه إلى السلطان عربون إخلاصه وولائه، وشهدت بلاد الصرب بعد ذلك نار الثأر والفتن الداخلية والمؤامرات والاغتيالات بين أسرتي ميلوش وقره جورج.

زاد تقرب ميلوش من الباب العالي حتى منحه السلطان لقب زعيم وراثي، الذي اقترحه المجلس الاثنا عشري، ولقبه السلطان «أمير الصرب» في مقاطعة بلغراد سنة «١٢٣٥ هـ = ١٨٢٠ م».[١٨]

بقيت مسؤولية الدولة العثمانية تتلخص في المراقبة والبقاء في الحصون والقلاع وعينت (مرعشلي باشا) والياً على الصرب، ثم قوي مركز ميلوش واستبدّ بالسلطة وسُمي أميراً وراثياً من قبل المجلس، وتوصل لاعتراف عثماني بوضعه الجديد، ومنحت صربيا استقلالها الذاتي في « ٨ربيع الأول ١٢٤٦ هـ و ٢٨ آب ١٨٣٠ م» وتمكن ميلوش بعد سنوات قلية من اكتساب ممتلكات جديدة في أراضي صربيا الجنوبية، توفي ميلوش في «٩ ربيع الأول ١٢٧٧ هـ و ٢٦ أيلول ١٨٦٠ م» وهو يطالب الدولة العثمانية الاعتراف بحمكه الوراثي[١٩]. (وتأخر استقلال صربيا النهائي حتى عام ١٢٩٥ هـ و ١٨٧٨ م).

صربيا والاستقلال

صربيا ـ هذه الدولة الصغيرة ـ كانت بحدودها الضيقة أمارة مستقلّة رغم

---

(١٨) انظر: العالم الحديث (ص٢٧٦ ـ ٢٧٨)
(١٩) انظر: العثمانيين والبلقان (ص١٩٢ ـ ٢٩٧)

أنها تابعة للدولة العثمانية التي غادر جنودها صربيا في عام ١٢٨٤ هـ و ١٨٦٧ م» وظلت تحت الحماية الجماعية للدول الكبرى المسيحية منذ معاهدة باريس عام ١٨٥٦ م.

وفي معاهدة برلين «١٢٩٥ هـ و ١٨٧٨ م» حصلت صربيا على بعض المكاسب في الأرض واعترف باستقلالها.. ولكنها انحازت كلياً إلى السياسة النمساوية، وأصبح الأمير «ميلان» ملكاً في ١٢٩٩ هـ و ١٨٨٢م باسم «ميلان الأول أبرينوفيتش» وبقي ملكاً حتى عام ١٣٠٦هـ و ١٨٨٩ م حيث تنازل لأبنه «الكسندر».

.. كانت صربيا في عهد الملك ميلان وعهد خلفه الكسندر، محمية للنمسا كما كانت واسطة التغلل النمساوي في البلقان، ومع ذلك تخلت فيينا عن الكسندر الذي قتل مع زوجته في ليل ربيع الأول ١٣٢١هـ و١٠-١١ حزيران ١٩٠٣م، ومع الملك الجديد الذي ينتسب إلى أسرة قره جورج، حكم باسم «بطرس الأول». وتحررت صربيا من الحماية النمساوية، وراحت تعلن مطالبها في مقدونيا ضد الدولة العثمانية وبلغاريا باسم القوميات. هذا الوضع المتأزم أدّى إلى تقسيم البلقان في آخر الحرب العالمية الأولى - كما سنرى -[٢٠].

عصيان في الجبل الأسود:

عانى العثمانيون من أوضاع صعبة وحرجة للغاية، واستحال عليهم إصلاح الإدارة في بعض الولايات، فالثورات المحلية المدعومة من الأوربيين أنهكت قواهم، والمفاوضة التي يتزعمها الحكام والزعماء المحليون، عرقلت جهودهم وخاصة في ألبانيا والبوسنة والهرسك، واضطروا المرة تلو الأخرى

---

(٢٠) انظر: تاريخ الحركات القومية في أوروبا / تأليف وتعريب د. نور الدين حاطوم دار الفكر - دمشق ١٩٨٢م جـ ٤ (ص ٢٨٠ - ٢٨٢)

لإرسال الجيوش بين الأعوام «١٢٤٦ ـ ١٢٦٦ هـ و ١٨٣٠ ـ ١٨٥٠ م» للقضاء على هذه التمردات.

.. عندما نشبت المعارك بين سكان الجبل الأسود والدولة العثمانية عام «١٢٧٥ هـ و ١٨٥٨ م» من أجل تعيين حدود أمارة الجبل الأسود ـ عادت الدول الأوربية للتدخل من جديد، وحالت دون انتشار القتال واستمراره، وعينت لجنة من مندوبين عثمانيين وأوربيين وجبليين لحسم النزاع.. وانتهز الانفصاليون فرصة حدوث انتفاضة في الهرسك وبادروا الى العصيان، فأرسل السلطان العثماني «عبد المجيد الأول[٢١]».القائد «عمر باشا[٢٢]».لإخماد عصيان الهرسك، فسحقه، وحاصر أمارة الجبل الأسود وأمر «نيقولا» ـ حاكم الجبل ـ بأن يحل جيشه فلم يُذعن واندلع القتال وتقدم القائد العثماني صوب الجبل من ثلاث اتجاهات. والتقت الجيوش في قلب الجبل بعد أن اكتسحت قوات المتمردين وقضت على معاقلهم، وأرغمت الأمير نيقولا التوقيع على الشروط الجديدة في «٤ ربيع الأول ١٢٧٩ هـ و ٣١ آب ١٨٦٢ م».

وبموجب هذه الشروط يبقى والد الأمير خارج الجبل، وتبني الدولة العثمانية حصوناً وقلاعاً على الطريق بين مدينة «أشقودرة» وبلاد الهرسك ـ مارة ببلاد الجبل ـ وجرى العمل فوراً في بناء حصن داخل البلاد ـ خلافاً لما جرى عليه الاتفاق ـ .

---

(٢١) عبد المجيد الأول: ابن السلطان «محمود الثاني» ١٢٥٥ ـ ١٢٧٧ هـ و ١٨٣٩ ـ ١٨٦١م» أجرى اصلاحات إدارية وفكرية واجتماعية، عرفت بالتنظيمات.. وبعهده جرت حرب القرم «١٢٧١ ـ ١٢٧٢هـ ـ و ١٨٥٤ ـ ١٨٥٥ م

(٢٢) عمر باشا: قائد عثماني شهير، نمساوي الأصل، «١٢٤٦ ـ ١٢٨٨ هـ = ١٨٣٠ ـ ١٨٧١م»، خدم في الجيش النمساوي ثم اهتدى إلى الاسلام بعد أن هاجر إلى البوسنة وخدم في الجيش العثماني، رقيّ تدريجياً حتى وصل إلى رتب عالية. هزم الروس في عدة مواقع منها حرب القرم.

لم تَرُق هذه المعاهدة للدول الأوربية ـ كالعادة ـ وأدعت أنها مجحفة بحق أمة نصرانية، وألحت فرنسا وبروسيا على الباب العالي بعدم ابعاد الأمير «ميركو» والد «نيقولا»، وتساهل العثمانيون ـ من قبيل الشفقة ـ رغم استمرارها في بناء الحصون، وأعلن الباب العالي في «٢٣ رمضان ١٢٨٠ هـ = ٣ آذار ١٨٦٤ م»، التنازل عن بناء القلاع مؤقتاً، مقابل أن يقوم الأمير بحفظ طريق الهرسك ودفعه تعويضاً مالياً عن ماسلبه من أموال التجار العثمانيين. ووافق الأمير على ذلك، ومع هذا لم يهدم العثمانيون القلاع التي شيدوها وسط بلاد الجبل الأسود الافي «محرم ١٢٨١ هـ وحزيران ١٨٦٤ م» بعد أن أقاموا على الحدود قلعة منيعة تمكّن في الرمي منها لمسافات بعيدة، ثم انتهت الحروب وهدأت بلاد الهرسك.[٢٣]

ثورة الهرسك ولائحة أندراسي[٢٤]

(في أوائل «١٢٩١هـ و ١٨٧٥م» هاجت الخواطر في بلاد الهرسك على تحريض مجاوريها من الصرب وسكان الجبل الأسود طلباً للاستقلال الإداري).

كانت للنمسا اليد الطولى في إثارة الفتن، لأن هدفها الاستيلاء على ولايتي البوسنة والهرسك. قدّم أهالي الهرسك عريضة إلى الباب العالي[٢٥] يطلبون

(٢٣) انظر: العثمانيون والبلقان (ص ٢٤١ ـ ٢٤٦) م .

(٢٤) اندراسي: سياسي مجري شهير ولد «١٨٢٣م» تعلم في بودابست، وعمل في السياسة وسنة «١٨٤٨م» كان من أهم دعاة الثورة.. سافر إلى الاستانة وحصل من السلطان «عبد المجيد» على وعد بالمساعدة. صار رئيساً لمجلس وزراء المجر في الحرب الروسية العثمانية ١٢٩٤هـ«١٨٧٧م» توفي في «١٨٩٠م».

(٢٥) الباب العالي: لقب اشتهر به بلاط السلطان العثماني ومن ثم مقر الصدر الأعظم أي رئيس الوزراء منذ عام «١٧١٨م» ـ والسلطان المعني هنا «عبد العزيز» ١٢٧٨ ـ ١٢٩٣هـ و ١٨٦١ ـ ١٨٧٦م»)انظر: المنجد في الاعلام ط ١٦ (ص ٩٩ و ٣٦٦)

تخفيض الضرائب بشكل عام، وعدم فرض ضرائب جديدة في المستقبل، (وأن يشكلوا لبلادهم - قوات أمن خاصة - من أهالي البلاد، فلم يجبهم الباب العالي لطلبهم). ولذلك أعلن السكان العصيان وقاوموا الدولة بالسلاح، ولكن ثورتهم وعصيانهم أخمدته الدولة وقمعته فوراً - رغم مساعدة الصرب - والجبليين - سراً وعلانية بالمال والسلاح.

(وفي ١٢ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٧٥ م و(ذو القعدة ١٢٩١ هـ) قضت المراحم السلطانية بتسكين خاطرهم، فأصدرت «فرماناً» بفصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية، وتعيين قضاة من الأهالي بطريق الانتخاب وتوحيد الضرائب والمساواة فيها بين المسلمين والمسيحيين، ولكن أبت الدسائس الخارجية.. الا استمرار القتال.[٢٦] ولم تهدأ ثائرة الأهالي وطالبوا بجلاء الجنود العثمانية عن بلادهم كما جلت عن بلاد الصرب، واستمرّ القتال بينهم وبين العثمانيين بقيادة «الغازى مختار باشا» الذي انتصر على الثوار. ولما رأت النمسا أن الثورة قد انطفأت أو كادت ولم يعد سبيل للتدخل عسكريا لتنفيذ مآربها، أو عزت الى الكونت «أندراسي» وزيرها الأول بتقديم لائحة سياسية الى الباب العالي بعد مشاركة المانيا وروسيا معها، وقدمت اللائحة المذكورة التي تساند طلبات الثائرين..

وأهم ما جاء في اللائحة:

تشكيل مجلس من أهالي الهرسك يكون مناصفة بين المسلمين والمسيحيين ومراقبة تنفيذ «فرمان ١٢ ديسمبر».. فوافق السلطان حسما للنزاع وحتى لا يكون للدول سبيل للتدخل وعلاوة على ذلك أصدر السلطان عفوا عاما عن جميع الذين اشتركوا بالثورة. ولكن نصارى البوسنة والهرسك لم يقبلوا، بل أصروا على اجلاء العثمانيين عن بلادهم، وأن تدفع الحكومة تعويضا

---

(٢٦) - انظر: تاريخ الدولة العثمانية العلية/ محمد فريد/ (ص ٣٩٢ - ٣٩٩).

عما هُدم من البيوت والكنائس أثناء الحرب، وأن يكون الدفع للتعويضات بواسطة لجنة أوربية.[٢٧]..

حرب صربيا[٢٨] والجبل الأسود[٢٩].

كانت روسيا مع باقي الدول المسيحية تعمل لايجاد الاضطرابات الداخلية في بلاد الدولة العثمانية... لإضعافها..، وأوعزت الى أميري الصرب والجبل الأسود باعلان الحرب على الدولة العلية[٣٠].

اذ كانت روسيا تريد توسعة حدودها الغربية من جهة بلغاريا، والنمسا تريد البوسنة والهرسك، ووعدت هذه الدول - مع ألمانيا - أميرا الصرب والجبل الأسود بالدعم...[٣١].

---

(٢٧) - المصدر السابق نفسه

(٢٨) - صربيا Serbie: كانت مملكة قديمة في أوروبا الوسطى على الضفة اليمنى لنهر الدانوب وهي اليوم جمهورية باسم «صربيا» عاصمتها «بلغراد»، انضمت الى اقليم الدولة العثمانية خلال ٧٤٠-١٢٣٣ هـ و ١٣٣٩-١٨١٧ م مُنحت استقلالها بموجب معاهدة «برلين عام ١٢٩٥ هـ و ١٨٧٨م» وتشكلت فيها مملكة سنة ١٣٠٠هـ و ١٨٨٢ م اجتاحتها القوات الالمانية والنمساوية والبلغارية، وعادت صربيا مملكة بعد الحرب العالمية الاولى ١٩١٨ - ١٩٤١ م - انظر: فن الحرب الاسلامي (م ٥ ص ٣٣٧).

(٢٩) - الجبل الأسود: Monte negro: ويسميه الأتراك «قره طاغ» وهو اقليم صغير في يوغسلافيا - سابقا - يقع على شاطىء الادرياتيكي الى الشمال من ألبانيا، استقل بموجب معاهدة برلين، واصبح مملكة سنة ١٩١٠ وانضم الى يوغسلافيا السابقة ١٩١٨ عاصمته «تيتو غراد (فن الحرب الاسلامي م ٥ ص ٣٣٧).(٥/ ٣٣٧) الجبل الأسود - الآن - (شكل مع جمهورية «صربيا» يوغسلافيا جديدة في آذار ١٩٩٢ م عدد سكانه (٦٠٠/٠٠٠) نسمة، من مدنه «كوتور» .. (المنجد في الاعلام ص ٥٥٩).

(٣٠) - انظر: تاريخ الدولة العثمانية العلية/ محمد فريد/ (ص ٤٠٩ - ٤٢٠)

(٣١) - فن الحرب الاسلامي - العهد العثماني - (٥ - ٣٣٧).

أخذ أميرا الصرب والجبل الأسود بالاستعداد، وشراء الأسلحة .. وجمع الجيوش .. وأرسلت روسيا أحد قوادها «تشرنايف.. الى بلاد الصرب لقيادة جيوشها، وأخذ معه كثيرا من الضباط الروس للالتحاق بالجيش الصربي وفي الحقيقة كانت روسيا هي التي تحارب الدولة العلية باسم الصرب وكذلك الأمر في الجبل الأسود.

ولما رأت الدولة هذه الاستعدادات جمعت جيشا جرّارا مؤلفا من أربعين الف مقاتل بمدينة «نيش» لصد الصربيين إذا تعدوا الحدود.

وفي «٨ حزيران ١٨٧٦ م (جمادى الأولى ١٢٩٣هـ) أرسل الباب العالي الى أميرى الصرب والجبل الأسود لمعرفة سبب حشد الجيوش ، فبررا ذلك بحجة منع تعدى القبائل - الأرناؤوط - على حدودهما وحفظ الأمن الداخلي.

ولما تمّت الاستعدادات في الأمارتين، طلب الأمير «ميلان» من الدولة العثمانية أن تناط بجيوشه اخماد ثورة البوسنة والهرسك، كما طلب أمير الجبل الأسود «نيقولا» أن تتنازل الدولة له عن جزء من أراضي الهرسك وما ذلك الا لايجاد الذريعة لاشعال الحرب ولكن الدولة العثمانية لم تقبل هذه الطلبات، فاجتازت الجيوش الصربية الحدود تحت قيادة الجنرال «تشرنايف» - الروسي - في أول تموز «١٨٧٦ م» (جمادى الآخرة ١٢٩٣ هـ) وكذلك قوات الجبل الأسود.[٣٢].

نتائج الحرب:

أن الحرب مع الجبل الأسود لم تتسع لوعورة مسالكه، كما كان من المتعذر على العثمانيين ملاحقة الثوار في المفاوز الوعرة، وكما يستحيل على الجبليين اختراق الجيوش العثمانية المحيطة بهم، لذلك لم تعد مساعدة الجبليين بفائدة

---

(٣٢) - انظر: تاريخ الدولة العثمانية العلية محمد فريد (ص ٤٠٥ - ٤١٠).

تذكر على الصرب..

أما الحرب مع الصربيين، فقد أجمع المؤرخون العسكريون أن الجنرال «تشرنايف» ارتكب خطأ عظيما.. في عدم جمع جيوشه في النقطة الوحيدة التي تصل بين بلاد البوسنة والهرسك بباقي أقاليم الدولة العثمانية فيستطيع عند ذلك الأتصال مع ثوار هاتين الولايتين، كما يمكنه بسهولة الانضمام الى مقاتلي الجبل الاسود! لأنه لم يتبع هذه الخطة - كما أشاربها عليه بعض قواده -، بل قسّم قواته الى أربع فرق.. وخاب مسعاه ..ولم يمض عشرة أيام على بداية الحرب الاوقد انتهت، فانهزمت فرقه الأربعة، في العاشرمن تموز «١٨٧٦ م» (جمادى الآخرة ١٢٩٣ هـ)، وكان النصر للجيش العثماني بقيادة «عثمان باشا وعبد الكريم باشا».

بعد هزيمة الصرب فكّر القائد «عبد الكريم باشا» بالتوجه الى مدينة «بلغراد» - عاصمة الصرب - لفتحها.. وفي الطريق فصل بين فرق «تشرنايف» وقطع كل اتصال بينها.. واستراحت الجيوش نحو اسبوعين.. بعدها أمر الجيش العثماني بالسير نحو بلغراد، واستمرت المناوشات مع الجيش الصربي من «٢٥ - ٢٩ آب ١٨٧٦ م (رجب ١٢٩٣ هـ)»، حتى اجتازت جميع القوات العثمانية نهر «موروا» - أحدروافد الدانوب -، ولم تجد أما مها أحدا.

وفي أول ايلول تمت هزيمة الصربيين وولّى الكثير منهم الأدبار فرارا، وباتت القوات العثمانية على مقربة من بلغراد، وعند ذلك وردت أوامر سرّية من الأستانة الى «عبد الكريم باشا» قائد الجيش بايقاف القتال وعدم الزحف الى بلغراد ريثما تأتيه أوامر جديدة - وذلك لتدخل الدول الأوربية بين المتقاتلين، حيث أن الأمير «ميلان» أمير الصرب طلب من الدول الأوربية في «٢٤ آب ١٨٧٦ م (رجب ١٢٩٣هـ) أن تتوسط بينه وبين الدولة العلية ... فاتصلت هذه الدول بواسطة قناصلها بالباب العالي - الذي لم يجبها - حتى فرّق القائد «عبد الكريم باشا» جميع الجيوش الصربية، ولم يبق من يعارضه في ألوصول الى بلغراد، عند ذلك وفي ١٤ ايلول ١٨٧٦ م (آخر شعبان ١٢٩٣هـ)،أعلن

- أي الباب العالي - أنه لا يقبل الصلح الآضمن شروط أهمها:

أولا: أن يأتي أمير الصرب الى مقرّ الخلافة ليقدّم واجبات الخضوع للسلطان ..

ثانيا: ان القلاع الأربعة..تبقى تابعة للدولة ويحتلها الجيش العثماني.

ثالثا: أن يلغى التجنيد في بلاد الصرب، وأن لايزيد عدد الجيش الصربي عن عشرة آلاف جندى وبطاريتي مدافع لحفظ الأمن الداخلي.(٣٣).

غير أن الدول الأوربية المعنية، لم تقبل هذه الشروط بحجة أنها مجحفة للصرب - وايضا - طالبت هذه الدول بامتيازات تحصل عليها البوسنة والهرسك والبلغار!.. وبعد أن اتفقت الدول الموقعة على معاهدة باريس «١٨٥٦ م» القاضية بالمحافظة على سلامة الدولة العلية - التي معناها في عرفهم تقسيمها -، أرسل اللورد «دربي» - وزير خارجية انكلترا - الى السفير الأنكليزى في الاستانة «هنرى تاليوت» رساله ليوصلها الى الباب العالي في «٢٥ أيلول ١٨٧٦ م» (رمضان الخامس منه ١٢٩٣ هـ) تتضمن أن طلبات الدولة العلية لا يمكن قبولها كلية، وأن الدول ترغب باعادة الصرب والجبل الأسود الى الحال التي كانتا عليه قبل الحرب، وأن تقوم ادارة وطنية مستقلة في البوسنة والهرسك ..ربعد أن تداول الوزراء العثمانيون في هذه الطلبات، أجاب الباب العالي على مذكرة الدول الأوربية بأنه لا ضرورة لا عطاء هذه الولايات امتيازات ادارية بما أن المجلس النيابي «المبعوثان» سيشكل قريبا ويضم مندوبين منتخبين من جميع ولايات الدولة - دون استثناء - ولاضرورة أيضا لا برام اتفاق جديد مع هذه الدول بخصوص ذلك..

..وأوعز الباب العالي الى القائدد عبد الكريم باشا باستمرار القتال، فاستدعى القائد «درويش باشا» الذي كان معسكرا بفرقته في «نيش» وأمره

---

(٣٣) - انظر: تاريخ الدولة العثمانية العلية/ محمد فريد/ (ص ٤٠٥ - ٤١٠م)

بالهجوم على معسكر «تشرنايف» في ٢٩ تشرين الأول ١٨٧٦ م و(٩ شوال ١٢٩٣ هـ)، وبعد قتال عنيف تقهقر الصربيون وانصارهم، وزحفت الجيوش العثمانية إلى مدينة بلغراد.

وفي روسيا، لما وصل خبر انتصار العثمانيين - وهو خلاف ما كانوا يتوقعونه - أرسلت روسيا برقية الى سفيرها في الاستانة «الجنرال أغناتيف» بعد أن اتفقت مع باقي الدول - مساء ٣٠ تشرين الأول للطلب من الباب العالي إيقاف الحرب فورا ومهادنة الصرب والجبل الأسود لمدة شهرين، وان لم يكن الجواب خلال ثمان وأربعين ساعة ايجابيا ينسحب السفير وجميع موظفي السفارة من الاستانة!، لقد قبلت الدولة العثمانية هذا الطلب منعا للعراقيل السياسية، ومنحت المحاربين مدة شهرين هدنة، ثم مُددت فيما بعد حتى شهر آذار ١٨٧٧ م (١٢٩٤هـ).[٣٤]

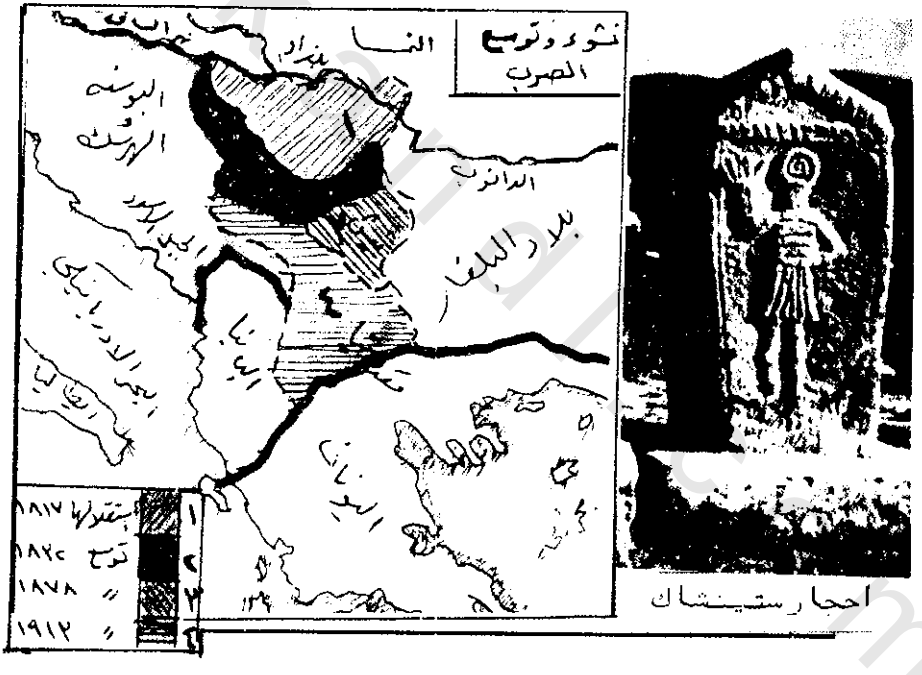

(٣٤) - انظر: تاريخ الدولة العثمانية العلية(ص ٤٠٥ - ٤١٠)

الحرب العثمانية الّروسية[٣٥]
١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ م - ١٢٩٤ ـ ١٢٩٥ هـ

أصدر السلطان العثماني أمره الى جميع الفرق بالتصدّي لجيوش العدو «الروسي» ووقفت الدول الأوربية موقفا سلبيا، وهو موقف مشجّع لروسيا - ضمنا - للمضي في حربها، واستطاعت القوات الروسية عبور نهر الدانوب بعد مجموعة من المعارك يوم ٢٢ حزيران ١٨٧٧ م (٧ جمادى الآخرة ١٢٩٤ هـ)، وأكمل الروس عبورهم يوم ٢٧ حزيران و(١٢ جمادى الأخرة)، فتصدت القوات العثمانية للروس الذين استولوا على مدينة «نيقوبوليس»وسارع الجيش العثماني وحصّن مدينة «بلفنة»وأقاموا حولها حولها سدا منيعا من الجند، ولكن القوات الروسية عاودت هجومها يوم «٢٠ تموز» (رجب)، لكن القوات العثمانية صدت الهجوم وأحبطته، وعاودالروس - بعد أن دعموا قواتهم - هجومهم بعد عشرة أيام، ونجحت القوات العثمانية ثانية في احباط الهجوم الروسي وأنزلت بالقوات الروسية - الرومانية اللتين تعاونتا في الهجوم - خسائر فادحة، وطار خبر هذا الانتصار الباهر الرائع الى الباب

(٣٥) - الحرب العثمانية الروسية: ليست هذه فقط وانما امتدت من ١٦٩٦ - ١٨٧٨ م سلسلة من الحروب أعلنتها روسيا ضد الدولة العثمانية في سبيل التوسع ، وبدأها بطرس الأول «الأكبر» في السيطرة على دول البلقان، وحققت «كاترين الثانية» انتصارات واسعة واستولت على جزيرة القرم .. انظر: (المنجد ص ٢١٩).

العالي الذى أصدر مرسوما (فرَمانا عاليا) يوم ٢٠ رجب ١٢٩٤ هـ = ٣١ تموز ١٨٧٧ م نوّه فيه بشجاعة القوات وهنّأها ومنح القائد «عثمان باشا» وساما رفيعا مع ترفيع الأمراء والقادة ومكافأة المقاتلين وأرسل السلطان قواتا أضافية لدعم جيشه، فقرر القائد «عثمان باشا» تقسيم جيشه الى ثلاث فرق.. وانطلقت القوات العثمانية من الدفاع الى الهجوم في حربها، وحقق الهجوم في مرحلته الأولى نجاحا رائعا وكادت الفرق أن تحقق الهدف بارجاع الروس الى الحدود، ولكن روسيا ورومانيا ألقتا بكامل ثقلهما في المعركة، ومع ذلك استطاع العثمانيون الصمود واحراز بعض الانتصارات أمام مضيق «شيبكا» وحول «بلفنة» غير أن التفاوت الكبير بين القوات العثمانية والقوات الروسية - الرومانية - التي دعمت جيوشها بالعَددِ والعُدَدِ - غيّر مجرى المعركة واندحرت القوات العثمانية حتى بلفنة حيث حاصرت هذه المدينة المحصنة القوات الروسية الرومانية، في ٢٤ تشرين الأول ١٨٧٧ م و(شوال ١٢٩٤ هـ)، وصار من المحال وصول الامدادات الى الحامية العثمانية بقيادة «عثمان باشا»، ولما تضايق الجيش العثماني من شدّة الحصار، جهز «عثمان باشا» الجيش لاختراق القوات المحاصرة، وأعدّ خطة لذلك، واستطاع الجنود العثمانيون اختراق قلب المحاصرين، غير أن القائد «عثمان باشا» أصيب برصاصة في فخذه وقُتل حصانه فسقط على الأرض مما أثرّ على سير المعركة. فاستطاعت القوات العدوّة أن تتغلب على المهاجمين، فاستسلم عثمان باشا في ١٠ كانون الأول ١٨٧٧ م (٤ ذو الحجة ١٢٩٤ هـ).

وعندما تراجعت الجيوش العثمانية، اغتنم الصرب هزيمة العثمانيين، فأعلنوا الحرب عليهم كما تابع الجبل الأسود قتال العثمانيين، وتقدم الروس في زحفهم واحتلوا مدينة «صوفيا» عاصمة البلغار، ثم تابعوا زحفهم وضيقوا الخناق على الجيش العثماني واصبحوا على مسافة خمسين كيلو متر فقط من العاصمة «استانبول»، فطلب الباب العالي من الدول التوسط بينه وبين الروس حقنا للدماء . ولكن أوروبا لم تلق بالا لهذا الطلب واستمر القتال

طيلة الشتاء.

ووجهت روسيا جميع جيوشها الى ما وراء جبال البلقان كي تكمل احتلال بلغاريا والروملي الشرقية بمساعدة الجيش الصربي.. في ذلك الوقت احتل سكان الجبل الأسود مدينة «انتيبارى[٣٦].» ووصلوا ضواحي «اشقودرة[٣٧].»

أما الصربيون فقد دخلوا «نيش»، وعندما وجدت الدولة العثمانية تكاثر الدول عليها، كان لابد لها من طلب الصلح، لعدم قدرتها على المتابعة، بسبب الوضع الجديد الذي نشأ على الأرض.

انتهت العمليات العسكرية وبدأت المفاوضات بين العثمانيين والروس في ٣١ كانون الثاني ١٨٧٨ م (٢٤ المحرم ١٢٩٥ هـ)، ورفع الباب العالي الحصار عن سواحل روسيا والبحر الأسود، وطلبت النمسا من انكلترا الاشتراك في عقد مؤتمر لمندوبي الدول الموقعة على معاهدة باريس، للنظر في شروط الصلح، خوفا من أن يمسّ حقوق الدول الأوربية، واضطر العثمانيون التوقيع على المعاهدة الجديدة - التي سميّت «معاهدة سان استيفانوس[٣٨].».

معاهدة سان استيفانوس

التقى مندوبو الدولة العثمانية ومندوبو روسيا في بلدة قرب استانبول على بحر مرمرة، تسمى «سان استيفانوس[٣٩].» وتقدم المندوب الروسي

---

(٣٦) - انتيبارى: مدينة في ألبانيا - اليوم - قاومت السلطة العثمانية طويلا حتى عام ١٥٧١ م (٩٧٩ هـ).

(٣٧) - اشقودرة أو شقودر shKODER: بحيرة تتقاسمها ألبانيا ويوغسلافيا ٣٧٠ كم٢ وتقع على ضفافها مدينة بهذا الاسم أو «سكوتارى «٦٠/٠٠٠ نسمة» حصن من القرن الخامس عشر (المنجد في الأعلام) ط ١٦ (ص ٣٣٤).

(٣٨) - انظر: فن الحرب الاسلامي - العهد العثماني - (ص ٣٦٤ - ٣٦٩)

(٣٩) - سان استيفانوس: بلدة تركية (يزيلكوى) اليوم، عقدت فيها معاهدة تخلت الدولة فيها عن البلقان لروسيا ١٨٧٨ م المنجد في الأعلام (ص ٢٩٢).

بشروط مسبقة،طلب التوقيع عليها مباشرة والا تتقدم الجيوش الروسية وتحتل عاصمة الدولة العثمانية استانبول، ولم يكن للعثمانيين من خيار - بسبب هزيمتها- سوى التوقيع على الشروط الروسية ضمن المعاهدة[٤٠] وفيما يلي بعض بنود هذه المعاهدة:

مادة ١ - «تقرر تصحيح حدود ممالك الدولة العلية والجبل الأسود، وذلك لانهاء المنازعات والمصادمات.»

مادة ٢- «ان الباب العالي يثبت استقلال الجبل الأسود واذا اختلف الباب العالي مع هذه الأمارة في بعض المسائل ولم يمكن فصلها باتفاقهما، فتحكم فيها دولتا: الروسيا واوستريا (النمسا)..»..

مادة ٣ - ان امارة الصرب تكون مستقلة.. وترتيب لجنة مركبة من مأمورى الدولة العلية والصرب لأجل تعيين خط الحدود على الوجه القطعي في برهة ثلاثة أشهر.

مادة ٤ - ان المسلمين الذين لهم أملاك في البلاد التي صار الحاقها ببلاد الصرب، اذا لم يريدوا الاقامة هناك فلهم الخيار، إن أحبوا أجّروا أملاكهم، أو أقاموا وكلاء من طرفهم لأجل حفظها واستغلالها.. واللجنة تفصل في برهة ثلاث سنين أمر فراغ الأملاك الأميرية والموقوفة..

وفي مواد هذه المعاهدة الأخرى تعترف الدولة العثمانية باستقلال: رومانيا وتأخذ بلغاريا استقلالا اداريا، ويكون موظفوها وجندها من النصارى فقط، كما يجرى انتخاب أميرها من أهل البلاد بالحرية التامة، ولا يمكن للجنود العثمانيين البقاء في بلغاريا، كما حددت مدة ثلاث سنين لانهاء أملاك المسلمين الذين كانوا يقيمون في البلاد التي استقلت عن العثمانيين وتُصفّى كل علاقاتهم بهذه البلاد.

---

(٤٠) - انظر: فن الحرب الأسلامي (٥/ ٣٧٨ - ٣٧٩).

كما نصّت المعاهدة على أن تبقى مضائق بحر مرمرة: ـ البوسفور والدردنيل ـ مفتوحة للسفن الروسية زمن الحرب والسلم.

وفي المادة التالية مقدار الغرامات الموضوعة على الدولة العثمانية.

مادة ١٩ ـ «ان مبالغ التضمينات الحربية التي طلبها حضرة قيصر الروسيا هي في مقابل الأضرار والخسائر التي تكبدتها دولة الروسيا بسبب هذه الحرب والباب العالي تعّهد بدفعها»

وهي كما يلي:

٩٠٠ مليون روبل رواتب الجند ونفقاتهم وثمن العتاد الحربي والاعباء التي دُمّرت.

٤٠٠ مليون روبل مقابل الأضرار التي أصابت السواحل الروسية الجنوبية.

١٠٠ مليون روبل مقابل الضرر الذي حصل من جراء الهجوم العثماني على القفقاس.

١٠ ملايين روبل مقابل الأضرار التي أصابت المواطنين الروس المقيمين في الممالك العثمانية ومؤسساتها.

فيكون مجموع المبالغ المطلوبة ـ كتعويضات ـ ١٠ ٤١٠/ ١ مليار روبل أو ٣٩١/ ٢١٧/ ٢٤٥ مليون ليرة عثمانية ذهبية وريال مجيدي أبيض ونصف.

«هذا وأن القيصر المشار اليه قد لاحظ ضيق حال الدولة العلية من جهة المال.. ووافق بالقبول على أن تترك الدولة العلية الأراضي المحررة أسماؤها أدناه عوضاً عن أكثر المبالغ المذكورة»

وطلبت روسيا مجموعة من الأراضي التي تجاور روسيا من الشرق والجنوب والغرب من حدودها مع ايران الى حدود رومانيا، مقابل مليار ومائة وعشرةملايين روبل، وأما الباقي وهو ثلاث مائة مليون روبل ـ ما

عدا عشرة ملايين روبل مقابل خسائرا المواطنين الروس . .

مادة ٢٩ ـ «أمبراطور روسيا والسلطان سيثبتون هذه المعاهدة، ووثائق التثبيت يكون معاطاتها في «سان بطرسبورغ[٤١]».» بظرف خمسة عشر يوما.. حرر في «ايا استيفانوس» في ١٩ شباط الرومي و٣ مارس (آذار)الافرنجي ١٨٧٨ م (صفر ١٢٩٥هـ)[٤٢]!!

نتائج المعاهدة:

كان من نتائج هذه المعاهدة، سلخ كامل ممتلكات الدولة العثمانية عن جسمها في أوروبا، عدا بعض القطع الصغيرة المتفرقة والتي لايمكن الدفاع عنها لعدم اتصال أجزائها ببعضها، وهي عبارة عن أربع قطع، لا اتصال بين ثلاثة منه الا بطريق البحر ولايزيد الفاصل بين أراضي الصرب والجبل الأسود عن خمسة كيلو مترات، بحيث تستطيع كل منها منع الجيوش العثمانية من المرور وقطع الطريق كلية عليها، واحدى القطع هي: مدينة استانبول وضواحيها فقط، وتحيط بها إمارة بلغاريا، وجزء من ولايتي البوسنة والهرسك، وما بقي منهما، أعطي جزء للصرب وآخر للجبل الأسود ويمكن القول ان خلاصة الأمر انحصرت في تخلي الدولة العثمانية عن ممتلكاتها في أوروبا عدا «البانيا» وبلغت خسارتها بموجب معاهدة سان استيفانوس ٨٣٪ من الاراضي و٦٩٪ من السكان، وبقيت هذه المعاهدة دون تطبيق لاختلاف البلقانيين على تقاسم الاراضي، لأن هذه المعاهدة لم تراع في تقسيماتها مصالح الأمم المراد سلخها عن الدولة، ولا مراعاة حدودها، بل

---

(٤١) ـ سان بطرسبورغ = لينينغراد: مدينة (روسية) على مصب نهر نيفا في خليج فنلندا عدد سكانها (٥٠٠/٠٠٠/ ٥) ملايين نسمة، أسسها بطرس الأكبر ١٧٠٣ م اصبحت العاصمة بدل موسكو حتى ١٩١٧ م (المنجد ص ٥٠٦)

(٤٢) ـ انظر: تاريخ الدولة العثمانية/ محمد فريد/ (ص ٤٤٣ ـ ٤٦٣).

أضافوا وخلقوا كثيرا من المشاكل، حيث ضمّوا الى بلغاريا بلادا كثيرة وأغلب سكانها من الروم والصرب، وأضافوا الى الصرب والجبل الأسود بلادا فيها كثير من الأرنأووط المسيحيين والمسلمين، ولذلك كانت كل هذه الأمم غير راضية عن هذه المعاهدة والتي لم، يراع فيها الاصالح سياسة روسيا[٤٣]، وأرسلت هذه الأمم رسائل الى سفراء الدول الأوربية، طالبة اعادة النظر في هذه المعاهدة وصون حقوقهم، وكذلك كان الرأى العام الأوربي ناقما على روسيا، أمّا انكلترا فكانت أكثر الدول تخوفا من نتائج هذه المعاهدة لوجود الروس بالقرب من مضيق البوسفور، لذا كانت أشدّ معارضة من غيرها في هذه المعاهدة وتودّ تعديلها لتظهر أمام الهنود بمظهر القوة والبأس ونفوذ الكلمة في أوروبا، أمّا النمسا فكانت معارضتها لرغبتها بامتلاك اقليمي (البوسنة والهرسك) ليسهل وصولها بعد ذلك الى الاستيلاء على ميناء سالونيك على الساحل اليوناني وليكون لها منفذ على البحر، أما ألمانيا فكانت تساعد روسيا ـ أدبيا ـ وايطاليا لم تكن لها مصالح ولا تودّ الاشتراك في حرب أوربية..

تأزم العلاقات الدولية:

يتضح مما سبق أن المعارضة الأساسية كانت منحصرة أولاً: في انكلترا، «لاحباً في الدولة العلية الاسلامية، بل خوفاً على نفوذها في الهند» وثانياً: مملكة النمسا لعدم حصولها على منافع في هذه المعاهدة. لهذا قامت انكلترا بلفت نظر روسيا بأن كل شرط يتم الاتفاق عليه بين روسيا والدولة لعلية يكون مخالفاً لنصوص معاهدة باريس ١٨٥٦ م.

واقترحت النمسا بعقد مؤتمر برلين برئاسة بسمارك[٤٤]للنظر بالأمور

---

(٤٣) ـ انظر: فن الحرب الاسلامي (ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩ م ٥).

(٤٤) بسمارك BISMARCK: (اوتوفون) ١٨١٥ ـ ١٨٩٨ م: سياسي ألماني، عمل على

الطارئة من الدول المعنية، فقبلت الدول معاهدة سان استيفانوس، ولكن روسيا عارضت هذا الشرط، وساءت العلاقات بينها وبين انكلترا التي أخذت تستعد لخوض الحرب، وجمعت أكثر سفنها الحربية في جزيرة «مالطة[٤٥]».لإكراه روسيا على تعديل المعاهدة - ولو بالقوة - لاضرارها بالمصالح الانكليزية[٤٦].

.. سعت روسيا لدى النمسا لئلا تساند انكلترا اذا نشبت الحرب بينهما بسبب معاهدة سان استيفانوس، كما تتعهد روسيا بإعطائها اقليمي البوسنة والهرسك، فلما رأت النمسا أن انكلترا تستعد للحرب براً وبحراً بشكل مثير، لم تعط مندوب روسيا جواباً شافياً حتى ترى ماتقضي به السياسة الانكليزية، فتنحاز إلى الفريق الذي تكون سياسته في صالحها!

.. عملت روسيا على تهدئة مسلمي بلغاريا الذين ثاروا ضد جنودها

تحقيق الوحدة الألمانية. أصبح مستشار الامبراطورية بعد الانتصار على فرنسا ١٨٧٠ م. جعل بلاده قوة أوربية ودولة استعمارية. المنجد في الاعلام ط (١٦ ص ١٢٨)...يعتبر بسمارك المؤسس الحقيقي للامبراطورية الالمانية، كما يعتبر أحد أبرز عباقرة السياسة في التاريخ الحديث. اشتهر بالحزم والاستبداد فدعي «المستشار الحديدي (م المورد العربية ١/٢٢٩).

(٤٥) مالطة MALTA: دولة وجزيرة في المتوسط، جنوبي جزيرة صقلية الايطالية، ولاتبعد عنها أكثر من ٨٠ كم وعن تونس ٢٦٠ كم، عاصمتها «فاليتا»، يتبعها أرخبيل من عدة جزر، فتحها الأغالبة المسلمون عام ٢٥٦ هـ (٨٧٠ م) ثم انتقلت الى حكم الفاطميين من ٢٧٩ - ٤٨٣ هـ و ٩١٠ - ١٠٩٠ م، خضعت عام ٩٣٧ هـ (١٥٣٠م) لحكم فرسان القديس يوحنا حتى فتحها العثمانيون ٩٥٩ هـ (١٥٥٣ م) ثم بونابرت ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) ثم الانكليز ١٢١٥ هـ ١٨٠٠ م، استقلت ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م، من دول الكمونولث البريطاني سكانها أواخر السبعينات ٣٥٠ ألف نسمة بينهم أربعون ألف مسلم ١١٪ من السكان
انظر:(المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ٢٤ والمنجد في الأعلام ص ٥١٤).

(٤٦) انظر: فن الحرب الاسلامي (ص ٣٧٨ - ٣٧٩ مجلد ٥).

ويدافعون عن أنفسهم ضد تعديات نصارى البلغار الذين يعتمدون على مساعدة الروس لهم.. وانتشرت الثورة في جميع جهات بلغاريا حتى حدود الصرب، ولما كانت روسيا واقعة في ضائقة مالية لم تمكنها من احتمال ماوصلت إليه البلاد، كتب قيصر روسيا[٤٧] الى خاله «غليوم الأول» امبراطور المانيا للتوسط بينه وبين انكلترا، وأنه مستعد للنظر في جميع بنود معاهدة سان استيفانوس[٤٨].

في ٣٠ ايار ١٨٧٨ م (جمادى الأولى ١٢٩٥ هـ) تم الاتفاق على تعديل المعاهدة المذكورة. «فصادقت انكلترا على أهم شروط المعاهدة وقبلت تشكيل أمارة البلغار الجديدة بعد تقليل مساحتها، وتشكيل الجزء الجنوبي منها بهيئة ولاية مستقلة - تقريباً لاتلبث أن تنضم الى امارة البلغار - وأثبتت سواحل الروم تابعة للدولة (العثمانية) بما فيها مدينة «قولة» - خوفاً من أن تتخذها الروسيا - مرسى لمراكبها، وهو الأمر الذي تسعى انكلترا جهدها في منعه حفظاً لسيادتها على البحار[٤٩].

مؤتمر برلين:[٥٠]

هذا المؤتمر عقده ممثلو الدول الأوربية الكبرى برئاسة بسمارك لحل الأزمة التي نشأت عن معاهدة سان استيفانوس، وقد ألغى المؤتمر هذه المعاهدة واستعاض عنها بمعاهدة جديدة عرفت بمعاهدة برلين، مرضياً بذلك بريطانيا (بحرمان الروسيا من المكاسب التي منحتها اياها معاهدة

---

(٤٧) قيصر روسيا: اسكندر الثاني (١٢٧٢ - ١٢٩٨ هـ = ١٨٥٥ - ١٨٨١ م)، امتاز عهده باصلاحات أهمها تصفية الرق

(٤٨) للاطلاع أكثر على معاهدة سان استيفانوس ونتائجها انظر: تاريخ الدول العلية (ص ٤٤٣ - ٤٦٣).

(٤٩) المصدر السابق

(٥٠) انظر في الملاحق: نص دعوة بسمارك لمؤتمر برلين.

سان استيفانوس).[٥١]

معاهدة برلين

دعت النمسا الدول لحضور مؤتمر يعقد في مدينة «برلين[٥٢]».وقد اختارتها لأن ألمانيا ترى من الضرورة أن تحتل النمسا ولايتي البوسنة والهرسك.. وكان أهم ماااتفق عليه المؤتمرون في برلين، تعديل معاهدة سان استيفانوس[٥٣]

انعقد مؤتمر برلين بحضور: الدولة العثمانية، بريطانيا، ألمانيا، النمسا، المجر، فرنسا، ايطاليا وروسيا «يريدون لأجل اقرار الراحة العامة في أوروبا وأنهاء.المسائل التي ظهرت في الشرق بسبب تقلبات الأحوال فيها».. وأهم مواد المعاهدة هي:

مادة ١ ـ تكون بلغاريا أمارة مستقلة في أمورها الداخلية، تحت التبعية العثمانية.

مادة ٢ ـ المسلمون وغيرهم من أصحاب الأملاك في بلغاريا ويسكنون خارجها يجري خلال ثلاث سنوات تصفيتها.

مادة ١٣ ـ تشكيل في جنوب البلقان ولاية «الروملي الشرقية» تتبع الدولة العثمانية ويكون واليها نصرانياً.

---

(٥١) انظر: موسوعة المورد العربية / (١/ ٢١٨).

(٥٢) برلين: عاصمة ألمانيا قبل ١٩٤٥ م، تقع على نهر شيري وسط السهل الألماني (اصبحت بعد الحرب العالمية الثانية مقسمة إلى برلين الشرقية تحت سيطرة الروس وعاصمة لألمانيا الديمقراطية وبرلين الغربية مقسمة أيضاً بين الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا) وأقيم جدار بين القسمين الشرقي والغربي ١٩٦١ م)أزيل الجدار نهائياً وتوحدت ألمانيا من جديد ١٩٩١ م مع سقوط الشيوعية).

(٥٣) انظر التاريخ الاسلامي (ص ٢٩٦).

مادة ٢٥ ـ تقوم النمسا والمجر بإدارة البوسنة والهرسك.

مادة ٢٦ ـ يعترف الباب العالي باستقلال الجبل الأسود وكذلك اعترفت به بقية الدول الموقعة على هذه المعاهدة.

مادة ٣٠ ـ المسلمون وغيرهم الذين يملكون عقارات في الأراضي التي انضمت إلى الجبل الأسود ويستوطنون خارج الجبل، تسوى أمورها خلال ثلاث سنوات.

مادة ٣٥ ـ لايجوز التمييز بين العقائد الدينية في الصرب ضد أحد.

مادة ٤٥ ـ أمارة رومانيا تعيد إلى روسيا أراضي بيسارابيا ـ التي كانت قد انفصلت بمعاهدة باريس ...

مادة ٦٢ ـ لايجوز التمييز في العقائد الدينية في جميع أراضي الدولة العثمانية.

مادة ٦٣ ـ تبقى معاهدة باريس الموقعة في ٣٠ آذار ١٨٥٦ م (٢٢ رجب ١٢٧٢ هـ) ومعاهدة لندن الموقعة في ١٣ آذار ١٨٧١ م (ذو الحجة ١٢٨٨ هـ) مرعية الاجراء

برلين ١٣ تموز ١٨٧٨ م (١٣ رجب ١٢٩٥)[٥٤]

حول معاهدة برلين ونتائجها:

اذا أمعنا النظر في مواد جميع المعاهدات التي تآمر الغرب في إبرامها ضد الدولة العثمانية نجد أن الدولة العلية هي الخاسرة دائماً وعلى كل حال، وفي معاهدة برلين خاصة، ففيها أصبحت أمارة بلغاريا مستقلة إدارياً، وفصلت ولاية الروملي بكاملها عن الدولة، وحظر عليها إقامة جيوش فيها

---

(٥٤) انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية (ص ٤٧١ ـ ٤٩٣).

ويكون واليها باتفاق الدول ومُنحت ولايتا البوسنة والهرسك الى النمسا ـ المجر، وتوسعت أراضي الصرب والجبل الأسود.

كانت معاهدة برلين أشد وطأة على الدولة العثمانية وأكثر ثقلاً من معاهدة سان استيفانوس، وكانت انكلترا[٥٥]. هي المنتصرة، ومعها كافة دول الغرب الصليبي، وفوق ذلك. جعلت الدول الأوربية الحق لنفسها بمراقبة أمور الدولة العثمانية بحجّة حماية المسيحيين[٥٦] لقد عدّل مؤتمر برلين ومعاهدة برلين العلاقات الدولية تعديلاً شاملاً، فقوّى العداء بين روسيا وانكلترا وأخذ القيصر يبتعد عن ألمانيا، لأنه لم يكن يأمل من بسمارك أن يقف هذا الموقف المؤيد للدول الأوربية ضد حليفة الأمس روسيا، وكان القيصر ينتظر رد الجميل من بسمارك! كما لم يكن ينتظر موقف النمسا العدائي، وبذلك بدا حلف الأباطرة الثلاثة (روسيا، ألمانيا، النمسا) .. يترنح ويتفكك وبدأت سلسلة الأحداث المتتالية التي وسّعت شقة الخلاف بين روسيا ودولتي الوسط (ألمانيا ـ النمسا) ورمت روسيا في أحضان فرنسا[٥٧]

البلقان بعد الحرب العثمانية الروسية

أصبحت البلقان في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر جزءاً من النظام السياسي والاقتصادي الأوربي فالاحتلال الروسي أدى إلى عداء وتنافس مريرين بين الروس وامبراطوية النمسا ـ المجر.

وتدخلت الأسر الأوربية الحاكمة في شؤون البلقان لأسباب استعمارية

---

(٥٥) انكلترا وقعت مع السلطان عبد الحميد الثاني قبل انعقاد مؤتمر برلين، معاهدة سرية في حزيران ١٢٩٦هـ ـ ١٨٧٨م تنازل فيها السلطان عن جزيرة قبرص مقابل تأييدها له في المؤتمر ودفع الخطر الروسي عن آسيا الصغرى، انظر: العالم الحديث (٣٤٣ ـ ٣٤٥).

(٥٦) انظر: فن الحرب الاسلامي (٥/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧).

(٥٧) انظر: العالم الحديث (ص ٣٤٤).

صوب الشرق بالإضافة إلى الضعف المتزايد في جسم الدولة العثمانية.

وكانت مسألة مقدونية عنصر نزاع واسع في البلقان.. فالبلغار ادّعوا أن مقدونيا بلغارية، وطالبت بها دولة الصرب على أنها صربية، (وكذلك اليونان تطالب بأنها يونانية). ان موقع مقدونيا الجغرافي جعلها في مركز الوسط من شبه جزيرة البلقان ومخرجها إلى بحر ايجة يشكل العمود الفقري الاستراتيجي لشبه الجزيرة أيضاً، وفي العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر، شجعت النمسا الصربيين وأيدت مزاعمهم حول مقدونيا، بينما دعم الانكليز اليونان، وتطور الصراع من أجلها حتى أخذ شكل نشاط مكثف لعصابات مسلحة ومزقت الصراعات مقدونيا. وأخمد العثمانيون انتفاضة مسلحة جرت عام ١٣١٢ هـ ١٩٠٢ م.

أما الألبان (الأرناؤوط)، ارتبط المسلمون منهم بالعثمانيين برابطة العقيدة ووجدوا أن الدولة العثمانية أكبر ضامن لمصيرهم وأفضل مدافع عنهم في وجه النصارى البلقانيين، وكانت الأمة الألبانية مجزأة بين قبائل (التيجيين) في الشمال الجبلي (والتوسكانيين) في السهول الجنوبية أضافة إلى بضع مستوطنات في أقاليم : كوسوفا ومقدونيا الغربية، وأبيروس[٥٨]، فكان سكان الشمال من الروم الكاثوليك، بينما استوطن المسلمون في الجنوب، واستوطن اليونانيون الأرثوذكس في أبيروس.. وحدثت خلال القرن التاسع عشر بعض الثورات المحلية ضد العثمانيين.. ثم نشأت رابطة للدفاع عن مادّعي بحقوق الأمة الألبانية عام ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م في اقليم كوسوفا، فكانت أول حركة ثورية ألبانية منظمة جاءت كردّ فعل على قرارات برلين، وحاربت هذه الرابطة ضد التنازل عن أية أراض ألبانية للجبل الأسود وتصدّى العثمانيون لهذه الحركة وأخمدوها عام ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م.

---

(٥٨) ابيروس epiros مملكة قديمة في البلقان جنوبي مقدونيا، أشهر ملوكها بيروس الثاني ٢٩٥ ـ ٢٧٢ ق م (المنجد في الأعلام ص ٢٤ ط ١٦).

أما في يوغسلافيا، فمن المعلوم أن الأراضي هنا كانت قد جزئت عام ١٢٩٣ هـ ١٨٦٧ م وحدثت الانتفاضة الاسلامية الصربية عام ١٢٩٩ هـ ١٨٨٢ م وبرهنت على استياء الفلاحين من النظام الاجتماعي والسياسي الجديد، ونادت صربيا بالملكية بالعام نفسه[٥٩].

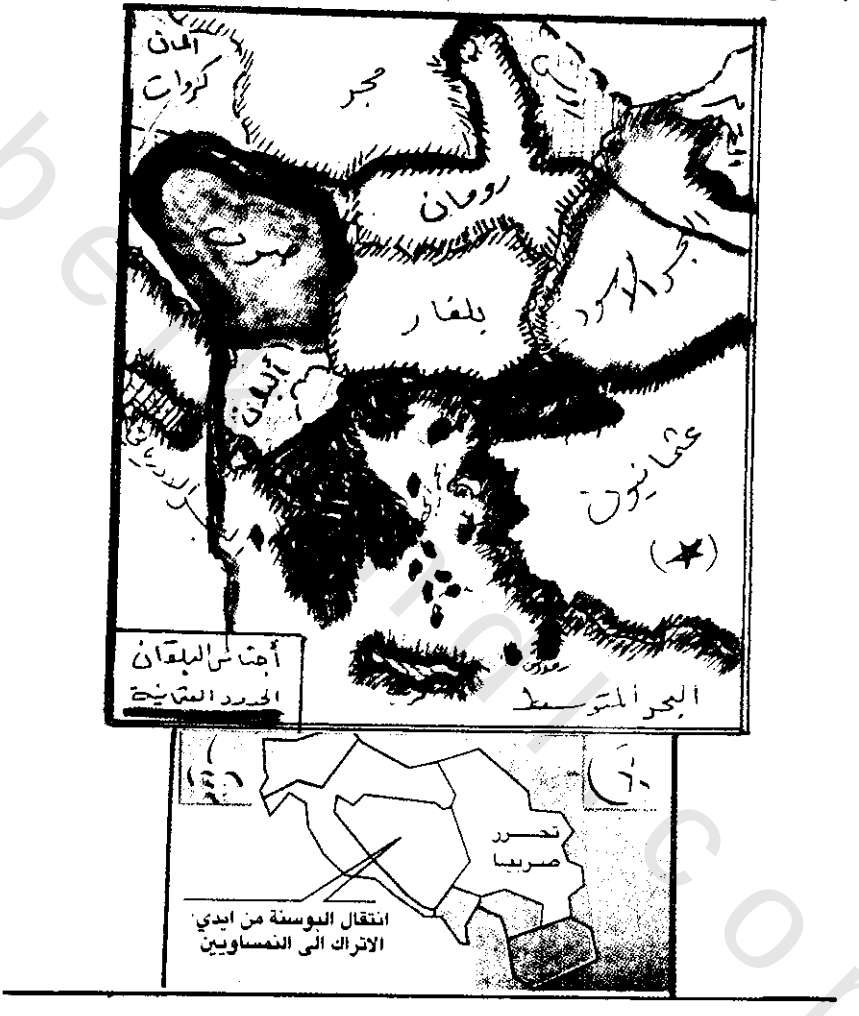

(٥٩) انظر: العثمانيون والبلقان (ص ٢٥٠ ـ ٢٥٢).

القضية القومية:

تعريفها:

القومية تصبح «أمّة» عندما يكون لها اطار دولي، وعندما نلفظ الكلمة «أمة»، نفكر أولا بـ (أرض)، أرض محددة، تحتوي على الجماعة التي هي «القومية».

.. ولكي تبقى الأمة وتدوم - وأيضا - لتولد، يجب أن يكون لها «اطار»، وهذا الاطار، حقوقيا وسياسيا هو «الدولة»، وجغرافيا هو «الحدود»، ويجب أن يكون للأمة أرض محددة بحدود، وقام جدل حول هذا الأمر، وأمكن إعطاء الأمة تعريفا آخر، يخرج اللغة المشتركة والأرض المشتركة معا. وعليه تكون الأمة: مجموعة من الناس، تجمعهم صفة واحدة على صعيد وحدة المصير.

.. ومن الواضح أنّه اذا أريد تطبيق مبدأ القوميات على ضخامة أو بناء الدولة، فان التعريف يظهر صعبا.إن مفهوم القومية في كل مافي القومية من ايجابيات، أي الصفات: الأرض، الاطار الدولي، اللغة، التراث، التاريخ المشترك، لايكون - دوما - لهذا المفهوم، حدودا واضحة جدا. لأن الأمة لاتعطى دفعة واحدة، ولاتنشأ مشكّلةً تماماً بصفاتها المميزة.

وأي تعريف دقيق للأمة، يمكن أن تعود كلمة «التاريخ» في كل لحظة، لأن الأمة تتشكل تدريجيا، وهذا يعني أن صفاتها تظهر رويدا رويدا، وأن الوعي

بالتبعية لجماعة قومية،يتشكل بالتدريج، وأن العاطفة القومية، وبالتالي العاطفة الوطنية (حب الوطن)، هي من أصلٍ حديث نسبيا.

وفي الحقيقة أن جميع أمم العالم، وبخاصة الأمم الغنية منها تميل الى إرجاع أصلها الى أبعد مايمكن في الماضي، وتنحت لنفسها ألقاب القِدم، وتبرهن على وجودها في زمن ـ ربما ـ لم تكن فيه، من الوجهه التاريخية قد تشكلت جيدا كما تزعم.

القومية ونزعة السيطرة:

.. في الواقع تنزع القومية الى تجاوز هدفها باستمرار. واذا تأسست على اهتمام شرعي بالاستقلال، فهي تحمل في ذاتها، وفي جوهرها مطالب أرضية، وينتج عن ذلك، أن الأقليات القومية يجب ألاّ تدرس فقط في علاقاتها مع الدولة المسيطرة، أو مع الدولة المطالبة، وانما ـ ايضا ـ في علاقاتها المتقابلة في اطار دولة واحدة، أو في اطار عدة دول.

ان نزاع القوميات يغذى بحجج لاتستمد من الخصائص الحاضرة للأقليات القومية فحسب، وانما أيضا من حجج مستمدة من التاريخ، ومن البديهي، من التاريخ المفسر لصالح كل من الأطراف المتنازعة[٦٠]

قضية الدولة متعددة القوميات:

.. لقد قدرت الشعوب أن من الطبيعي.. والشرعي، أن تتمكن الأمم من تقرير مصيرها بنفسها، وأن هذا حق محترم، وأن الحدود السياسية ـ حدود الدول ـ تتطابق مع حدود الأمم نفسها، وباختصار، ان قيمة الدولة القومية لم توضع على بساط البحث، وأن تحقيق الوحدات القومية الكبرى في القرن

---

(٦٠) انظر: تاريخ الحركات القومية في أوروبا/ نور الدين حاطوم، دار الفكر ـ دمشق ط١ (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م) (٤/٢٣٩ ـ ٢٤١).

التاسع عشر، تشكيل الوحدة الألمانية، والوحدة الايطالية، والوحدة الرومانية وبالعكس في القرن العشرين، ان دمار الدولة النمساوية الهنغارية، والعثمانية، والمناقشات التي سيطرت على ابرام معاهدة فرساي[٦١] في ١٩١٩ م و (١٣٣٧ هـ). ان كل ذلك يبرهن عن أن مبدأ الدولة القومية، دولة تكون فيها حدود الأمة والدولة متطابقة، كان مقبولاً عموماً[٦٢].

.. ان نمو الوعي يمكن أن يكون سريعاً وصاعقاً أيضاً.. وبخاصة عندما يُدرس تاريخ البلقان. ومن الصحيح.. أن القوميات.. التي تظهر بمعارضتها وبكراهيتها لجيرانها نستطيع أن نقول:

ان هذه القوميات أصيبت بمرض القومية الطفولي.. ومثال هذا النوع «مقدونيا» وهي منطقة متنازعة.. وقد تأرجحت سلبياً بين الدول السلافية المجاورة أي «صربيا وبلغاريا» بعد ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م. أدمجت بصربيا عام ١٣٢١ هـ ١٩١٣ م ثم بدولة يوغسلافيا الجديدة التي أنشأتها معاهدة «تريانون[٦٣].» في ١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م وسميت مملكة الصربيين والكرواتيين والسلوفينيين وعندئذ خضعت مقدونيا (لقوة) الدمج ومركزية الدولة الصربية ـ الكرواتية. إلا أنها بعد الحرب العالمية الثانية حصلت على استقلال ذاتي، لغوي وإداري، في إطار دولة جديدة هي: جمهورية يوغسلافيا الاشتراكية الاتحادية

---

(٦١) فرساي versailles: مدنية فرنسية.. اشتهرت بقصورها وجنائنها ومتاحفها. كانت مقاماً لملوك فرنسا. وقعت فيها معاهدة فرنسا عقب الحرب العالمية الأولى ١٩١٩م.

(٦٢) لزيادة المعرفة عن قضية القوميات انظر: تاريخ الحركات القومية في أوروبا (٤/ ٢٢٩ ـ ٢٦٣).

(٦٣) تريانون: اسم القصر الذي وقعت فيه المعاهدة انظر: فقرة «العثمانيون والبلقان» بعد انتهاء الحرب ـ العالمية الأولى.

لقد ساعد الحل الاتحادي.. على التوفيق لحد ما - كما في شبه جزيرة البلقان - بين مصالح. يوغسلافيا المؤلفة من ست جمهوريات .. فكل جمهورية لها استقلالها اللغوي والإداري ولاشك في أن حدود الدولة الجديدة لاتتطابق تماماً مع حدود الجماعات القومية[٦٤].

من هذا التوزيع السكاني بين جمهوريات يوغسلافيا، نشأت الخلافات القومية التي سيطر عليها مؤسس الدولة الاتحادية «تيتو[٦٥].» وجعل الكل ينادي بقومية يوغسلافية واحدة ولكن كل هذا لم يمِت الشعور القومي الذي ما أن رحل تيتو عام ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م حتى سارع الزعماء الوطنيون الى اقتناص الفرصة لتصحيح أوضاع اعتبروها خطأ تاريخياً[٦٦].

البلقنة والقومية السلافية.

كانت النمسا - المجر وروسيا هما القوتين الرئيسيتين في الصراع الدائر لوراثة الدولة العثمانية، - رجل أوروبا المريض - وللسيطرة على البلقان في

---

(٦٤) انظر: تاريخ الحركات القومية في أوروبا (ج ٤ ص ٢٢٩ - ٢٦٣).

(٦٥) تيتو: جوزيف بروز TITO ١٨٩٢ - ١٩٨٠ م زعيم الحركة اليوغسلافية في مقاومة النازية، ورئيس اتحاد الجمهوريات اليوغسلافية. ومن رواد الحياد الايجابي وعدم الانحياز - ولد تيتو من عائلة فلاحين فقيرة في كرواتيا بالقرب من مدينة «زغرب» عاصمة كرواتيا، بعد احتلال النازيين ليوغسلافيا واستسلام الجيش الملكي، حمل تيتو ورفاقه لواء المقاومة حتى تحرير يوغسلافيا ١٩٤٤، بعد التحرير حرص تيتو على السير في منهج اشتراكي خاص بيوغسلافيا مما ادّى ذلك الى الصدام مع ستالين ووقوع المقاطعة بينهما. اهتم بابراز دور العلاقات الاقتصادية في الميدان العالمي. (انظر: الموسوعة الاشتراكية /د. محمد حلمي مراد ومحمود أمين العالم وغيرهما/ دار الوطن العربي للنشر، بيروت (بدون تاريخ) (ص ٩٨ - ١٠٠).

(٦٦) انظر: مجلة المختار من ريدرز دايجست رمضان ١٤١٢ هـ آذار ١٩٩٢ م (ص ٣٦ - ٤٢).

النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كان هدف روسيا التاريخي، هو التحكم بمضيقي: البوسفور والدردنيل والاستيلاء على عاصمة الدولة العثمانية «استانبول» لتؤمن لنفسها منفذاً إلى المياه الدافئة.

أما حكومة النمسا ـ المجر، كان هدفها تحطيم آمال الروس في البلقان، وقد دعمت بريطانيا وألمانيا ذلك.

تعثر المطامح الروسية

في سنة ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ م ١٢٩٤ ـ ١٢٩٥ هـ عندما وقفت روسيا تساند أمارتي الصرب والجبل الأسود ضد الدولة العثمانية، وتدعم المسيحيين السلاف في الهرسك، استطاعت هذه القوى دحر القوة العثمانية التي أرسلت لاخماد ثورة الهرسك .. ألهب نجاح الصرب وأهل الجبل الأسود، خيال الشعوب السلافية في أمبراطورية النمسا ـ المجر ـ التي كانت تساعدها الحكومة ماديا ومعنويا لدعم الجماعات التي تعمل لا تحاد السلافيين في الجنوب.

صربيا مصدر المشاكل

..بما أثارته صربيا، شعرت حكومة النمسا ـ المجر ـ متعددة القوميات بالخطر، فبذلت جهودا مضاعفة للسيطرة على صربيا وقهرها «اذ كانت في نظر (آل هابسبورغ) مصدر المشاكل في دولتهم. «وفي سنة ١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٨م» كان ضم ولايتي البوسنة والهرسك رسميا الى الأمبراطورية النمساوية ـ المجرية نتيجة لهذه السياسة. كما كانت «لإحباط القومية السلافية الجنوبية»

نذير العاصفة

بعد ضمّ البوسنة والهرسك الى الامبراطورية، تحوّل اندفاع القومية الصربية في بادىء الأمر جنوبا تجاه ألبانيا وجنوب شرق «مقدونيا»، فطالبت كل من صربيا وبلغاريا واليونان بهما، لكن مؤتمر برلين أعادهما الى الدولة

العثمانية. أقامت الدول البلقانية الأربع وهي: اليونان وصربيا وبلغاريا والجبل الأسود، مايسمى «بعصبة البلقان[٦٧].» (وكان هذا نذيرا للعاصفة بأنّها آتية قريبا لتصفية الحسابات بين عصبة البلقان وبين الدولة العثمانية، وهذا ماظهر في الحرب البلقانية الاولى، ثمّ الثانية التي كانت سببا في اقتتال دول العصبة، لا ختلافهم على توزيع المكاسب - كما سنرى فيما يأتي -).

نضوج الفكرة القومية عند الشعوب

نمت الفكرة القومية خلال القرن التاسع عشر نموّا مضطربا، فكانت تتعثر أحيانا.. وتنجح أحيانا أخرى.. كما في الوحدتين، الايطالية والألمانية، كما استطاعت بعض الأمبراطوريات الكبرى كروسيا والدولة العثمانية وأمبراطورية النمسا والمجر، أن تضغط على الروح القومية لتبقى لها السيطرة على شعوبها المحكومة، ولكن.. لم يكتب لها الفوز التام على القوميات. فقد أخذت الشعوب الخاضعة للعثمانيين من صرب ويونان وألبان وبلغار ورومان، بالا نفصال تدريجيا عن جسم الدولة، وكان سبب الحرب العالمية الأولى.. وقلق النمسا من نموّ الروح القومية عند الصرب، (والذي أدى الى اغتيال ولي عهدها، واشتعلت نار الحرب).. فغذّى الحلفاء الروح القومية عند شعوب دول المحور ليضموهم الى صفوفهم، وأعلن الرئيس «ولسون» في بعض مبادئه الاربع عشرة[٦٨] تأييده للقوميات واعطائه الشعوب حلّ تقرير

---

(٦٧) انظر: سلسلة بهجة المعرفة (المجموعة الثانية ٥) الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ليبيا - طرابلس، طبع ايطاليا ١٩٨٣ م (ص ٢١٦ - ٢١٩).

(٦٨) ولسون (رئيس الولايات الأمريكية المتحدة) ومبادؤه مؤلفة من أربع عشرة مادة منها:
١ - حرية الملاحة في البحار في السلم والحرب معا.
٢- الجلاء عن أراضي رومانيا، والصرب والجبل الأسود والسماح للصرب بالوصول للبحر الأدرياتيكي، وحل مشاكل البلقان على أساس القوميات..وغيرها من المبادىء..

مصيرها.. وقرر مؤتمر باريس اعادة رسم خريطة أوروبا على أساس القوميات، فاقتضى ذلك ازالة أربع أمبراطوريات كبيرة من هذه الخريطة وهي: الامبراطورية العثمانية، الروسية، الألمانية، النمساوية ـ المجرية ـ وابراز ست دول قومية جديدة هي: بولندا تشيكوسلوفاكيا، ليتوانيا، لاتيفيا، استوانيا، فنلندا، وقد رضيت روسيا الشيوعية ـ عن طيب خاطر ـ اعطاء دول البلطيق الأخيرة، استقلالها لحماسها للفكرة القومية، وتوسيع حدود ست دول قوية أخرى هي: صربيا ـ يوغسلافيا لاحقاً، رومانيا، ايطاليا، اليونان، فرنسا، الدانمرك، وفصل المجر عن الأمبراطورية النمساوية. وبذلك زاد عدد الدول الأوربية من ٢١ دولة في عام ١٩١٤ الى ٢٧ دولة عام ١٩٢٠ م.

ولكن نجاح الفكرة القومية وانشاء الدول القومية، حفظ في طيّاته بذور مشاكل مابين الحربين، لأن توزيع حدود الدول القومية، كان يتبع مشيئة المنتصرين... بفصل جميع أطراف (بلاد المغلوب) ولو خسر أقليات من جنسه، ولم يخلُ تشكيل هذه الدول الجديدة من عناصر غريبة كانت سبب المشاكل من جديد، ضمّت .. يوغسلافيا أقليات ألمانية مجرية وبلغارية وغيرها..(وهكذا في بقية الدول الجديدة)[٦٩]

△ Monastère de Dečani ديردِيشاني

(٦٩) ـ انظر: العالم الحديث (ص ٦١٢ ـ ٦١٤).

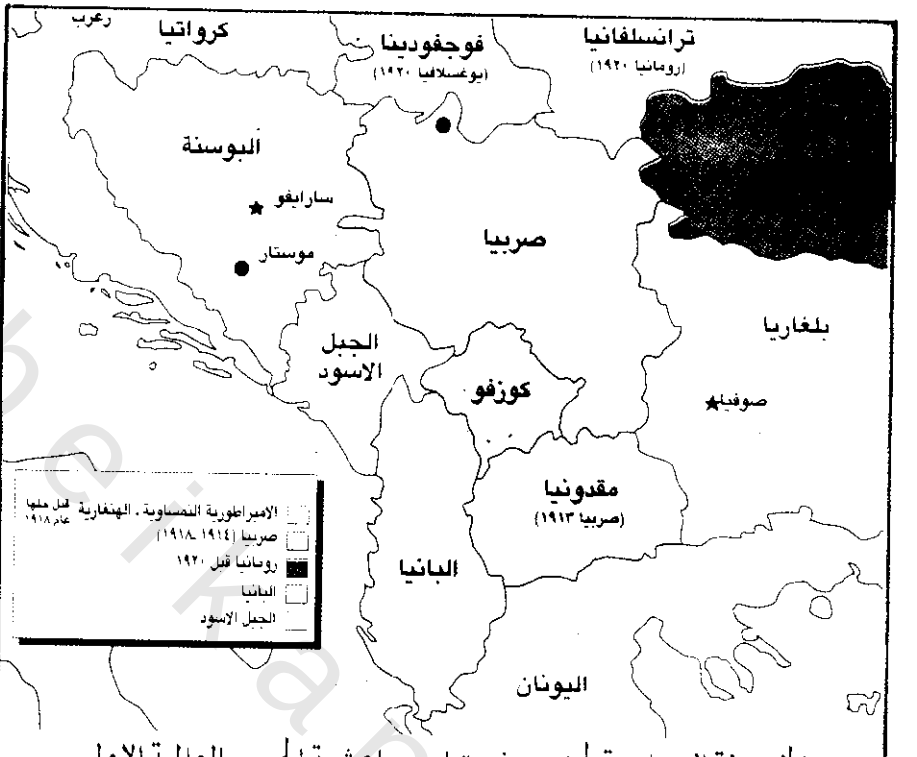

الخريطة السياسية لجنوب شرق اوروبا عشية الحرب العالمية الاولى

ايقونة من اوخريدا القرن ١٤ Ohrid-icône (XIV s.)

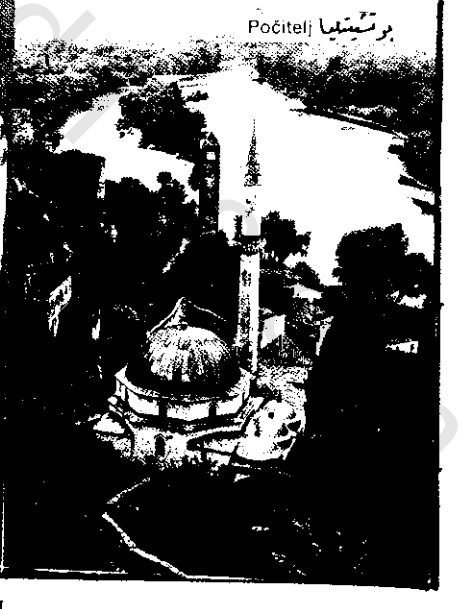

المشكلة القومية في «يوغسلافيا السابقة»

ان الأحداث التي جرت وتجري في ما سمي «يوغسلافيا» ليست جديدة وانما هي مشكلة قديمة، وتمتد للعصور الوسطى وان كانت مرحلة الحكم العثماني ساهمت في تباين القوميات التي تعيش في البلقان إلا ان العداء كان شبه مستمر بين المعتقدات الدينية وخاصة بين الصرب (الأرثوذكس) والكروات (الكاثوليك) ومما زاد في التنافر والعداء بين المذاهب محاربتهم للمسيحيين البوغوميل، ومن بعد ذلك للمسلمين، كل هذا أدى الى صراعات ذات طابع ديني وقومي وبخاصة فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية.

ان بروز النظام الشيوعي الذي كان يعتبر الأممية هي الهدف الأسمى قافزا فوق القومية والاقليمية، نابذا المعتقدات الدينية.

فمنذ بروز الانظمة الشيوعية كحركة أصبحت المعبّر عن فكرة التضامن مع الشعوب البلقانية ولكنها فشلت في القضاء على الخلافات والتناقضات والمنازعات التي تفشّت منذ الحلول التي فرضتها المعاهدات والتي لم تعطِ العامل القومي الأهمية وبقيت امور كثيرة دون حلّ وإن بقيت المواجهات كنار تحت رماد.

فالمسألة القومية في منطقة شبه جزيرة البلقان طال حلها لأكثر من قرن لأن أصحاب القرار لم يتوصلوا الى الحل المرغوب لانعدام التوافق بين الأصول الثلاثة وهي: الأمة والأرض والدولة.

ومنذ النصف الأول من القرن التاسع عشر تجري منافسة حاسمة بين تيارين يدعوان لحل المسائل القومية والاقليمية في الجزء الغربي من شبه جزيرة البلقان: أولهما يقول «بصربيا العظمى» وثانيهما يدعو الى «كرواتيا الكبرى» على حساب القوميات الأخرى وخاصة على حساب المسلمين في البوسنة والهرسك، وتحققت فكرة توحيد الصرب والكروات والسلوفينيين عام ١٩١٨م (١٣٣٦هـ) أي من سلاف الجنوب وأقاموا «مملكة الصرب والكروات والسلوفينيين «وبها تحقق النصر على التجزئة قديمة الزمن لأراضي وشعوب «يوغسلافيا»، ولكن هذه المملكة تعرضت فورا لمصاعب كبيرة لم تتمكن من التغلب عليها طيلة فترة تواجدها لأن تلك المصاعب في التناقضات كمنت في المشكلة القومية[٧٠].

يوغسلافيا والقومية السلافية

..دولة يوغسلافيا متعددة القوميات، تستند على مبدأين أساسيين:

أولا ـ على فكرة الاتحادية المتساوية، عكس يوغسلافيا القديمة بين ١٩١٨ ـ ١٩٣٩ والتي نظّمت على أساس وحدوي ومركزي فنرى دولة يوغسلافيا التي أوجدها تيتو تدع مكانا اساسيا للسيادة القومية لكل من الجمهوريات الشعبية، ومن بينها الجمهوريتان الهامتّان: صربيا وكرواتيا ـ اللتان سيطر عداؤهما على تاريخ يوغسلافيا ـ أخذتا سيادة حقيقية.

ثانيا ـ هو الحكم الذاتي.. وقد نما في يوغسلافيا شكل جديد للدولة متعددة القوميات، فنشأ مفهوم جديد لهذه الدولة، استوحي منه دستور يوغسلافيا الاتحادية ـ سابقا ـ[٧١].

---

(٧٠) للمعرفة أكثر عن القضية القومية في «يوغسلافيا» أنظر: مجلة تاريخ العرب والعالم بقلم: د.لطفي المعوش ـ استاذ في الجامعة اللبنانية ـ العدد١٣٩ ايلول وتشرين١-١٩٩٢م (ص٧٩ ـ ٨٧).

..لقد كان القرن التاسع عشر عصر القوميات .. وان فكرة الدولة القومية، ذات نزعة عسكرية وقاسية، حتى على الصعيد الديني، قد تأكدت عبر أوروبا كلها.

فمنذ ١٢٨٨ هـ ١٨٧١ م تتصف هذه الفترة (بسياسة الانصهار والدمج، وهذا يعني الاضطهاد والقهر) أي تتنازل الجماعة البشرية المقصودة بالانصهار والدمج عن (صفاتها الأصلية، كاللغة والدين والحريات السياسية أو الادارية) وهذه حال الأقليات في البلقان..

..ان نزاع القوميات ـ يُغذّى بحجج لاتُستمد من الخصائص الخاصة للأقليّات القومية فحسب، وانما أيضا من حجج مستمدّة من التاريخ المفسّر لصالح كل من الأطراف المتنازعة..

شبه جزيرة البلقان منطقة حساسة، ثائرة باستمرار، انها برميل بارود أوروبا، تهزها الحركات الثورية والحروب، وفيها ـ في البوسنة وفي سراييفو عاصمتها ـ كان الحادث الذي أثار الحرب العالمية الأولى، وصفت هذه المنطقة بأنها «بركان» ونعتت بكل النعوت، وسميت «روماتيزم أوروبا» و«عقدة الافاعي» وأجريت بحقّها كل المقارنات الممكنة، لاختلاف القوميات وتعددها فيها.

في مناطق هذا الجزء الجنوبي الشرقي من أوروبا، وجدت معظم القوميات السلافية في عام ١٢٨٨ هـ ١٩١٤ م تحت السيطرة العثمانية،.. ثم كانت النمسا ـ هنغاريا أمبراطورية وعندها أقليات سلافية، وكانت تعتمد على ألمانيا الموّحدة حديثا وتضع ثقلها في البلقان .. ولكنها اصطدمت بالأطماع الروسية نحو القسطنطينية والبحر الأسود.

ان طموحات وأطماع الدول الكبرى المتنافسة تتداخل في البلقان لتزيد

---

(٧١) ـ انظر: تاريخ الحركات القومية في أوروبا (٤/ ٢٢٩ ـ ٢٣١).

من سعير الفرقة بين القوميات، ففترة ١٢٨٨ ـ ١٣٣٣هـ ١٨٧١ ـ ١٩١٤ م ليست الا تتمة لحوادث مأساوية لهذه الشعوب التي لم تعرف السلام أبدا. وقد أدى هذا الوضع في النهاية الى تجزئة الممتلكات العثمانية في البلقان وخلق أو توسُع دول جديدة.[٧٢].

في عام ١٣٢٣ هـ ١٩٠٥ م انعقد في «فيوم[٧٣]» مؤتمر لسلافيي الجنوب، وطالب بالقربى الوثقى بين كل الجماعات من سلافيي الجنوب. وبدىء باستئناف التعبير «يوغسلافي» للدلالة على جماعة واسعة تضم معا الكرواتيين وكل الصربيين ـ أى صربيي كرواتيا والمجر ومملكة صربيا والبوسنة والهرسك، والدلماسيين والسلوفينيين..[٧٤].

الأقليات في يوغسلافيا والقضيّة القوميّة

كانت يوغسلافيا فريسة القضية القومية، قضية الأقليات، والأقلية الأساسية فيها هي «كرواتيا» وفي الحقيقة أن الكرواتيين لهم دواعيهم في كره الصربيين. فهم كاثوليك على حين أن الصربيين أرثوذكس، ويستعملون الألف باء السيريلية.. وكانوايشعرون مع هذا بعاطفة شديدة جداً باستقلالهم الذاتي.

وكان الكرواتيون يشعرون بعداء غير خفي حيال المزاعم الصربية للهيمنة ولما يسمّى «السياسة الصربية الكبرى» وعلى وجه الدقّة تشكلت يوغسلافيا.. بشكل دولة مركزية وانتصر في ١٣٣٦ هـ ١٩١٨ م ـ حسب أماني الصرب ـ المبدأ الذي يسمى «الاندماجية اليوغسلافية» وهذا يعني في الواقع «المركزية» وذلك بموجب القانون الدستورى في حزيران ١٩٢١م الذى

---

(٧٢) ـ انظر: تاريخ الحركات القومية في أوروبا (٤/ ٢٧٢ ـ ١٧٣).
(٧٣) ـ فيوم = رياكا: مرفأ في كرواتيا على ساحل الادرياتيكي
(٧٤) ـ تاريخ الحركات القومية في أوروبا (٤/ ١٦٩).

صوتت عليه الجمعية التأسيسية، ويلغي جميع الأقاليم القديمة، هذا التشكيل لم يرض الكرواتيين.. وقام زعيم حزب الفلاحين «راديك» عام ١٩١٨ م وكان مناوئا جداً للصرب، واحتج شخصيا لدى رئيس الولايات المتحدة «ويلسون » ضد وجود الجيوش الصربية على الأرض الكرواتية.وفي عام ١٣٨٥ هـ ١٩٣٩ م أمكن التوصل الى اتفاق - بعد مفاوضات شاقة - ينص هذا الاتفاق على تعيين (بان) مستقل ذاتيا في كرواتيا.. ولكن الشعب الكرواتي عارض هذا الاتفاق، لأنه لا يتفق مع الأماني الوطنية للبلد الذى ظلّ ضد الصرب.

وهكذا نرى .. «الإفلاس التام للتجربة الاندماجية.. في الدولة اليوغسلافية» وقد تفاقمت قضية الأقليات[٧٥].وقوميات يوغسلافيا كما يلي: صرب ٣٦٪ كروات ١٩٪ سلوفين ٨٪ مقدونيون ٦٪ ألبانيون ٨٪ صرب الجبل الأسود ٣٪ هنغار ٢٪ و١٧٪ بشناق وأتراك مسلمون وقليل من اليهود والغجر[٧٦].

اذا أردنا معرفة الأصول القديمة لهذه الأقليّات، أو هذه القوميات، نرى أنها تندرج تحت قائمةالجماعة السلافية، ونلاحظ في هذه الجماعة وحدة الجنس أكثر من غيرها وفي الواقع، **إن الصرب والكروات والبشناق والسلوفينيين، كلهم من جنس واحد**، ولكننا نجد فيهم اختلافا سياسيا كبيرا.

الهجرات السلافية

كان سلافيو الجنوب كتلا كثيرة مثل: الكتلة التركية (العثمانية)، وهي

---

(٧٥) - انظر: تاريخ الحركات القومية في أوروبا (٢/ ١٩٩ - ٢٠١).

(٧٦) - انظر: دليل العالم/ عبد الرحمن حميدة وغيره ط ١-١٩٨٨ م - دار طلاس دمشق (ص ٤٩١ - ٤٩٣).

أكثر من غيرها، وفي هذه الكتلة نجد أن القسم الشمالي «باشوية بلغراد» كان له وضع خاص به، فقد بقيت فيه آثار من الاحتلال النمساوى في القرن السابع عشر، وفي النمسا ـ نفسها ـ توجد جماعة سلوفينية .. وفي هنغاريا (المجر) أيضا..

كانت الهجرات الصربية الآتية من الأرض العثمانية، تغذّي السكان الصرب في هذه المنطقة التي حافظت على كنيستها الأرثوذكسية . وكان لها نظام عسكرى خاص باعتبارها ثغرا أمام العثمانيين، وفي الأمبراطورية النمساوية التي أحاطت بها، أن، عامة سلافيي الجنوب تؤلف في الواقع نقطة اتصال حضارتين، شرقية وغربية،

الأولى من بيزنطة ثم من العثمانيين، والثانية، غربية وهكذا تعارضت في الجنس الواحد، حضارة أرثوذكسية تستعمل الحروف الابجدية الاغريقية السيريلية ـ أى الحروف السلافية التي تنسب الى القديس «سيريل» حوارى السلافيين، المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ٨٦٩ م ولكن أصلها ما زال موضع جدل ـ وحضارة كاثوليكية، تستعمل الحروف اللاتينية وعلى صلة بالغرب، وتتضح أكثر الاختلافات الدينية والفكرية بهذا الانقسام السياسي. أما عاطفة الوحدة فلم تنطفيء مع ذلك[٧٧] ..

السلاف والهنغار

لقد اجتاح السلاف شبه جزيرة البلقان في القرن السادس الميلادى، والهنغاريون الحوض البانوني، (الدانوب الأوسط) في القرن العاشر، واختلط هؤلاً ببعضهم، وانطلاقا من القرنين الرابع عشر والخامس عشر، نلاحظ حركة هجرة سلافية وافدة من الجنوب لتعزز العنصر السلافي الموجود في حوض الدانوب الأوسط، وكانت هذه الهجرة بعد سقوط القسطنطينية عام

(٧٧) ـ انظر: تاريخ الحركات القومية في أوروبا (٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٢).

٨٥٧ هـ ١٤٥٣ م، واحتلال صربيا ٨٦٣هـ - ١٤٥٩ م والبوسنة ٨٦٧ هـ ١٤٦٣ م والهرسك ٨٧٧ هـ ١٤٨٢ م وكلما صعد العثمانين الى الشمال، أصبحت هنغاريا الجنوبية ملجأ للنبلاء والفلاحين الصرب،

كانت بلغراد آنذاك حصنا أماميا للدولة العثمانية أمام العالم المسيحي، وتزايد الضغط العثماني في القرن السادس عشر، واجتاز الجيش العثماني نهر «الساف» ونهر «الدانوب» واحتل هنغاريا الجنوبية، وتوج ذلك بنصر«موهاكس[٧٨]».عام ٩٣٢ هـ ١٥٢٦ م، واصبحت «بودابست» عاصمة المجر - في ٩٤٨ هـ ١٥٤١ م حصنا عثمانيا اسلاميا، ومنذئذ لعبت النمسا دور بلاد الثغور حيال العالم الاسلامي.[٧٩]..

موقف الأمبراطورية النمساوية من الأقليّات

كانت الأمبراطورية النمساوية - المجرية كالامبراطورية العثمانية اشبه برقعة شطرنج أو لوحة الموزاييك، تجمع في كل رقعة صغيرة شعب وقومية ولغة ودين، يربطه بالتاج الأمبراطورى رباط الخضوع، أيام كان للتاج قوته وجيشه وادارته، ولكن نمو الروح القومية في القرن التاسع عشر، أخذت تهدد شبكة هذا الرباط بالتقطيع، واذا نجحت بعض القوميات بالتوصل الى شيء من الاستقلال الذاتي، فأن انفلات القوميات عن حدود الامبراطورية لم يتم الا عقب الحرب العالمية الأولى، وكانت النمسا تضم: (اثني عشر مليون

---

(٧٨) - موهاكس أو موهاج MOHACS: مدينة هنغارية على نهر الدانوب، قرب الحدود اليوغسلافية الشمالية انتصر فيها السلطان «سليمان القانوني على ملك هنغاريا «فرانسوا» عام ١٥٢٦ م (ذو القعدة ٩٣٢ هـ) - انظر: فن الحرب الاسلامي في العهد العثماني (٥/ ١٢٨ - ١٢٩).

(٧٩) - انظر تاريخ الحركات القومية في أوروبا (٤/ ٢٨٤).

ألماني وعشرة ملايين مجرى وثمانية ملايين ونصف تشيكي وخمسة ملايين ونصف صربي وكرواتي وخمسة ملايين بولوني وأربعة ملايين روثيني وثلاثة ملايين روماني ومليون ونصف سلوفيني ومليون ايطالي... على أن، الجيش النمسوي الذي كان يربط بين هذه القوميات... تحطم في الحرب العالمية الأولى، فتفككت الأمبراطورية، وولدت من أجزائها عدة دول[٨٠].

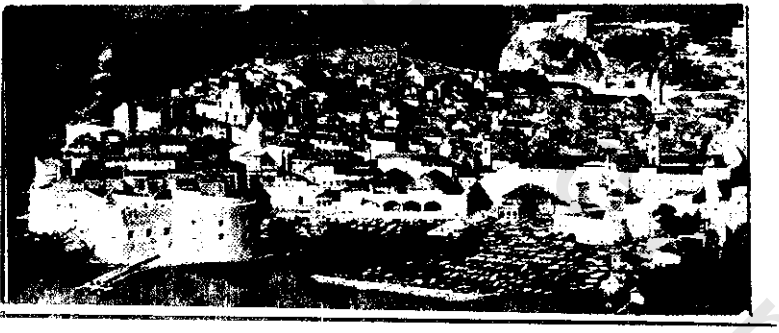

(٨٠) ـ انظر: العالم الحديث (ص ٢٠٩ ـ ٢١٠).

العلاقات الدولية
في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى

كانت دول البلقان الجديدة كل واحدة تتنازع مع الأخرى تلبية لمطامحها في السيطرة «بلاد الصرب وبلغاريا، حول مقدونيا. رومانيا وبلغاريا حول دوبرجا[٨١] رومانيا والنمسا ـ المجر حول ترانسلفانيا. لكن أعظم النزاعات وقعت بين بلاد الصرب والنمسا ـ المجر.»

بسبب دعم الصربيين الأعمال الارهابية التي يقوم بها السلافيون في الامبراطورية، جرت في البوسنة والهرسك ـ وهي تضم الكرواتيين والصرب والسلوفينيين والمسلمون أخطر الحوادث، حاولت صربيا الحصول على منفذ على البحر الادرياتيكي، ولكن النمسا ـ المجر قاومت محاولات الصرب لذلك وشجعت على قيام دولة ألبانيا عام ١٢٢٠ هـ ١٩١٢ م[٨٢]..

اتسمت هذه المرحلة بقوة ألمانيا وضعف فرنسا وعدم اكتراث بريطانيا.. ولكن الاحتكاك المستمر بين روسيا والنمسا بشأن الشرق الأدنى حتّم على

---

(٨١) - دوبرُجا: اقليم في جنوب رومانيا، ما بين الدانوب والبحر الأسود.. كانت دوبرجا من أسباب القلاقل في البلقان.. عام ١٩٤٠ م تنازلت رومانيا عن جنوب دوبرجا الى بلغاريا بتدخل ألمانيا اذ يشتمل على أكثرية بلغارية انظر: القاموس السياسي احمد عطية الله/ دار النهضة العربية، القاهرة ط٣، ١٩٦٨ م (ص٥٣١).

(٨٢) - بهجة المعرفة ـ المجموعة الثانية (مجموعة٣ـ ٥/ ٢١٧).

دول أوروبا الأخرى أن تشكّل أحلافاً فيما بينها وتكتلات جعلت جوّأوروبا مشحونا بالترقب والحذر من هبوب العاصفة وازدياد احتمال وقوع الكارثة ونشوب الحرب[٨٣].

البلقان قبل الحرب العالمية الأولى

شكلت البلقان في بداية القرن العشرين مسرح الصراع العالمي. وكان للدول الأوربية مصالح عسكرية واقتصادية وسياسية متضاربة..

وكانت نقطة التحول باتجاه التحرر السياسي والاقتصادى قد بدأت في بلاد اليوغسلاف وكان عام «١٣٢١هـ-١٩٠٣م» هو العلامة المميّزة، فقوى كرواتيا السياسية. بدأت تنظم نفسها ضد السيطرة المجرية، وظهر استياء مشابه في البوسنة.

وتهيّأت السبل لسياسة حركة قوميّة أجنبية «تحت حكم بطرس الأول - قره جورج فتش» فأدى ذلك لاغتيال ملك صربيا «اسكندر أوبرنوفتش»

وبرزت في مقدونيا عام ١٣٢١ هـ ١٩٠٣ م - ايضاً - حركة استقلالية، أما في كرواتيا ودالماسيا، فقد قامت الأحزاب السياسية بائتلاف ووضع برنامج للوحدة اليوغسلافية، ولاصلاحات سياسية واجتماعية. وأرسلت كلّ من صربيا والجبل الأسود دعماً لحركة مقدونيا وبدأت تجمع قواتها، كما بدأت دول البلقان بالتسلّح وشراء المدافع والذخيرة من دول أوروبا.[٨٤]..

---

(٨٣) - لزيادة الاطلاع عن العلاقات الدولية آنذاك انظر: موسوعة تاريخ العالم / همرتون، تعريب: ادارة الثقافة والنشر في وزارة الارشاد في جمهورية مصر العربية القاهرة (٦ أجزاء) بدون تاريخ (ص١٩١١ - ١٩٢٢).

(٨٤) - انظر: العثمانيون والبلقان (ص٢٥٣ - ٢٥٦).

حوادث ومشاريع:

ابتدأ الصراع الديبلوماسي بين دول أوروبا من أجل مشروع سكّة حديد البلقان، وغيرها وعبّرت مشاريع السكك الحديدية عن النزعة السياسية للدول الأوربية المتصارعة، وخطط الروس والصرب للوصرل الى البحر الأدرياتيكي، والنمسا اندفعت باتجاه ، بحر ايجه بتبني مشروع سكة حديد «نوفي بازار» ولربطها بساحل اليونان، وأخيرا لاتخفى جهود اليونان والبلغار لابتلاع وسط مقدونيا، وفي هذه الأثناء تمردتّ الحامية العثمانية في مدينة «سالونيك» في «جمادى الأولى ١٣٢٦ هـ حزيران ١٩٠٨ م بتحريض من حزب «تركيا الفتاة[٨٥]».»

واضطر السلطان «عبد الحميد الثاني[٨٦]».»لإعلان الدستور، وأراد الاتحاديون حكماً يمنح الحرية والمساواة لكافة القوميات داخل السلطنة.

وانتهز البلغار.. الفوضى، وأعلنوا استقلالهم التام في ٥ تشرين الأول ١٩٠٨ م (رمضان ١٣٢٦ هـ) وفي اليوم التالي أعلنت امبراطورية النمسا - المجر ضم البوسنة والهرسك.. وانهاء النظام السياسي الذي أقامه وأقره مؤتمر برلين، وكان أهم الحوادث، ماجرى في البوسنة والهرسك، فقد احتج الصربيون بعنف لضم البوسنة والهرسك .. وعارضت انكلترا النمسا على

---

(٨٥) - تركيا الفتاة: حزب نادى من أجل احياء ودعم القومية الطورانية - وهو أحد وجوه «جمعية الاتحاد والترقي» (الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية ص٢٤٧).

(٨٦) عبد الحميد الثاني: سلطان عثماني ١٢٩٣ - ١٣٢٧ هـ و ١٨٧٦ - ١٩٠٩ م، تولى الحكم بعد خلع أخيه السلطان «مراد بن عبد الحميد» في ١٨ شعبان ١٢٩٣ هـ ٦ أيلول ١٨٧٦ م، وحكم السلطان عبد الحميد أكثر من ثلث قرن ونادى بالجامعة الاسلامية، ثم تم خلعه (بانقلاب قام به رجال الاتحاد والترقي) في ربيع الأول ١٣٢٧ هـ ١٩٠٩ م. انظر: العثمانيون والبلقان (ص ٢٥٣ - ٢٥٦) انظر في الملاحق دور اليهود في ثورة ١٩٠٨م وخلع السلطان عبد الحميد عام١٩٠٩م.

هذا الإجراء. ودعم الروس صربيا وبلغاريا ووضعت تسوية سلمية للتعويض عن الأضرار بين النمسا والدولة العثمانية.. ودفع النمساويين بموجبها تعويضاً للدولة العثمانية.

ولكن الصراع النمساوي الصربي جرّ أوروبا إلى حافة الحرب، وأجبر الضغط الموجه من قبل برلين في «آذار ١٩٠٩ م و (١٣٢٧ هـ)، ـ الروس على الموافقة. وحذت صربيا حذو روسيا، وقبلت بضم البوسنة والهرسك من قبل النمسا والمجر، وألقت حوادث ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩ م و(١٣٢٦ ـ ١٣٢٧ هـ) بظلالها السوداء على الحوادث المقبلة[٨٧]

أهمية سنجق نوفي بازار: «السوق الجديدة»

تعتبر منطقة السنجق أساسية، أوكما يقال «منطقة مفتاح»، ونوفي بازار، مركز السنجق وهي مدينة صغيرة تحتل موقعا استراتيجيا، لأنها تسيطر على الممر الذي يصل مقدونيا بالبوسنة.

مساحة السنجق (٧٠٠٠كم٢) تقريبا ويسكنها الآن أكثر من (١٥٠،٠٠٠) نسمة، والمسلمون يشكّلون ٧٥٪ من السكان، ولأهمية السنجق، قامت النمسا باحتلاله في عام ١٨٧٨ م (١٢٩٧هـ)، أي في الوقت الذي احتلت فيه البوسنه والهرسك، وفي عام ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) عاد جزء منه الى الامبراطورية العثمانية ..

في عام ١٩٠٧م (١٣٢٥هـ) كانت النمسا تحاول اقامة علاقات مع سالونيك (اليونان) والبحر المتوسط الشرقي، كما حاولت القيام بمفاوضات مع الامبراطورية العثمانية بغية الحصول على امتياز لخط حديدي ينطلق من البوسنة ـ التي ضمتها فيما بعد ـ ويرتبط بالخط الشمالي ـ الجنوبي الكبير

---

(٨٧) انظر المصدر السابق (ص ٢٥٣ ـ ٢٥٩).

بلغراد ـ سالونيك، ويمر من «نوفي بازار»، دون أن يمر من الأراضي الصربية.

(إن أهمية سنجق نوفي بازار ـ لم تكن لتقلّ، ـ بل ازدادت وبخاصة هذه الأوقات حيث تسيطر عليه صربيا وأكثرية سكانه من المسلمين الذين يعيشون في ظروف صعبة، حيث كبت الحريات والتحرشات الدائمة بسكانه المسلمين الذين يطالبون بالانضمام إلى إخوانهم في البوسنة، ولكن هيهات أن يستطيعوا ذلك، مادام الحقد الصربي والتسلط اللاإنساني.)[٨٨]

حروب البلقان

ظلت الحركات المناوئة للعثمانيين وكذلك ـ الحركات الانفصالية ـ تتوالى في شبه جزيرة البلقان وفي ذلك الوقت جرى خلع السلطان «عبد الحميد الثاني» وتسلم الاتحاديون السلطة ـ ولايخفى أن اليهودية العالمية وراء ماحدث ـ وكان الوضع المتأزم في البلقان مستمراً، وتحالف البلقانيون ضد الدولة العثمانية، فاتفق البلغار واليونان ثم الجبل الأسود، وبدأت الحشود العسكرية، ثم الهجوم المعلَن.

الحرب الأولى ١٣٣٠ ـ ١٣٣١ هـ ـ ١٩١٢ ـ ١٩١٣ م

.. بدأت الحشود العسكرية البلقانية، وقُدّمت مذكرة الى الباب العالي تطلب منح السكان النصارى الحق في الحكم الاداري الذاتي، ورفضت الدولة العثمانية الطلب وكان ذلك الرفض السبب في إعلان الحرب[٨٩]

.. أعلن الجبل الأسود الحرب على الدولة العثمانية عام «١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م» ووقف بجانبه أعضاء التحالف البلقاني: صربيا وبلغاريا واليونان. وتمكنوا من إحراز النصر على العثمانيين، واستعملوا الطائرات لأول مرة

---

(٨٨) تاريخ الحركات القومية (٤/ ٢٧٩).
(٨٩) انظر: العثمانيون والبلقان (ص٢٥٣ ـ ٢٥٩).

في هذه الحرب، وقصفوا مدينة «أدرنة»، وفقدت الدولة العثمانية معظم أراضيها في أوروبا، وبعد وقف القتال جرى الاتفاق على استقلال ألبانيا، وقسمت الأراضي الباقية - التي كانت للعثمانيين -، بين أعضاء التحالف البلقاني، وعرفت هذه الحرب، باسم «حرب البلقان الأولى[٩٠].»

الحرب الثانية ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م

.. لم يلبث أعضاء التحالف البلقاني أن اختلفوا على تقسيم التَركَة التي حصلوا عليها وتنازعوا حول سيادة بلغاريا على مقدونيا، وقد أصرت بلغاريا على ذلك، ووقفت في وجه كل من رومانيا والصرب واليونان، ووقعت الحرب في عام «١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م، فانضم العثمانيون في بهذه الحرب ضد البلغار، وحصلوا من البلغار على جزء مما خسروه في الحرب العالمية الأولى، اذ ضموا اليهم «تراقيا[٩١].» بما فيها مدينة «أدرنة»، نتيجة لمعاهدة «لندن» عام ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م وعرفت هذه الحرب باسم «حرب البلقان الثانية[٩٢].»

حروب البلقان وأثرها:

لم تتعد هاتان الحربان، حدود البلقان وإن كادتا تشركان دول أوروبا فيهما، لكنهما أثّرتا في تأزّم الموقف الدولي الذي سبق الحرب العالمية الأولى، ووضّحتا انقسام كل دولة إلى أحد المعسكرين، فالنمسا ومن ورائها ألمانيا أيدتا - علنياً - حكومة الاتحاديين، وكانت ألمانيا منذ عهد عبد الحميد» ١٣٠٦هـ ١٨٨٨م قد نشرت نفوذها على الدولة العثمانية ونالت امتياز مد

---

(٩٠) انظر: التاريخ الاسلامي - العهد العثماني - (ص ٢١٤ - ٢١٥).

(٩١) تراقيا: منطقة قديمة في جنوب شرقي أوروبا، هي اليوم قسمان: غربي يتبع اليونان وشرقي يكون القطاع الأوربي من تركيا، بين المضائق وبحر مرمرة، أهم مدنه استانبول على القرن الذهبي. (المنجد في الأعلام ط ١٦ ص ١٧٠).

(٩٢) انظر: التاريخ الأسلامي - العهد العثماني (ص٢١٦).

سكة حديد بغداد ١٣١٦ هـ ١٨٩٨ م وارتمى الاتحاديون في أحضان دولتي الوسط، لأنهم لم يأمنوا دول التحالف الثلاثي (انكلترا، فرنسا، روسيا)، فانكلترا تطمع في ضم مصر الى امبراطوريتها، وفرنسا تطالب بمد نفوذها على سوريا ولبنان، وروسيا لاتزال تحلم بالاستيلاء على المضائق.. هذا إلى أن العداء بين النمسا والصرب قد استحكم جداً، لوقوف النمسا في وجه توسع صربيا نحو البحر الادرياتيكي، كما أن الجبل الأسود لم يرض عن نتائج حروب البلقان لعدم حصوله على مدينة «اشقودرة» التي احتلها جيشه، وبلغاريا من جهتها حنقت على جميع الدول البلقانية التي انتصرت عليها حيث خلصتها بعض أراضيها بدل أن تتوسع وتكبر، فانحازت إلى النمسا في الحرب العالمية الأولى مع انضمام دول البلقان إلى الحلفاء[٩٣].

العثمانيون والبلقان والحرب العالمية الأولى

ان المشكلات القومية التي زرعتها أوروبا في جسم البلقان والتي استخدمتها في فصل تلك البلاد عن الدولة العثمانية، هي المشكلات ذاتها التي أدت إلى نشوب الصراع بين دول البلقان التي تأسست بعد زوال حكم العثمانيين، وهي ـ أيضاً ـ التي كانت من أسباب تفجير الحرب العالمية الأولى.

ان تحطيم النظام التقليدي، الذي ساد أوساط الجماهير الصربية الجنوبية، كان عاملاً في إذكاء نار تلك الحركات واندفعت الأعداد الغفيرة من جموع أبناء الفلاحين للانخراط في صفوف المنظمات الثورية.. ورنت الأبصار الى رجال العصابات كي تعمل شيئاً. ان النجاح الذي تحقق بعد أفول نجم الخلافة العثمانية هناك، والذي قاده دعاة الأفكار القومية، سرعان ماحرّك الأطماع القومية الصربية الشديدة الاندفاع.

---

(٩٣) العالم الحديث (ص ٣٦٢).

اغتيال ولي عهد النمسا:

في ٢٩ أو ٣٠ صفر ١٣١٨هـ - ٢٨ حزيران ١٩٠٠م، تزوج الأرشيدوق النمساوي «فرانسوا فرديناند» من الكونتيسة «صوفيا شونيك» وسط جومن الكآبة والغم، فالعريس ولي العهد للامبراطورية النمساوية من آل هبسبورغ .. أما العروس فكانت - مجرد - كونتيسة... وفي عام ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م قرر الارشيدوق ولي عهد النمسا وزوجته القيام بجولة تفتيشية عسكرية - بمناسبة عيد زواجهما - في البوسنة، وسار الموكب - الذي يضم ولي العهد وزوجته - عبر الشارع الرئيسي في مدينة «سراجيفو» - عاصمة البوسنة والهرسك - فألقيت عليهما قنبلة من قبل أحد الطلاب.. ولكن المحاولة فشلت، وتابع الموكب طريقه - وكان إهانة لشخص ولي عهد النمسا - فقرر مغادرة المدينة، وفي أحد المنعطفات، قام الطالب «غافريلو برنسيب» وقفز إلى العربة الأمبراطورية وصرع ولي عهد النمسا وزوجته بطلقة واحدة، وهكذا تم اغتيال ولي عهد النمسا..

لقد شعر الموظفون النمساويون أن عليهم أن يصفّوا حسابهم مع صربيا وفشلت التحقيقات الأولى في الكشف عن دليل مقنع محدد يثبت ارتباط الحكومة الصربيّة بعملية الاغتيال.. ودبّ الذعر في قادة أوروبا. وأرسلت حكومة هبسبورغ، تطلب القضاء على المنظمات القومية في صربيا، ومعاقبة المسؤولين عن تنظيم الاغتيال، وأعلنت الحرب ضدّ صربيا في ٥ رمضان ١٣٣٢هـ و ٢٨ تموز ١٩١٤ م، بعد حادث الاغتيال بشهر واحد فقط.

وسيطر التحالف الأوربي، خلال أسبوع واحد فقط، ووقفت روسيا وفرنسا وبريطانيا إلى جانب صربيا، ضد ألمانيا وامبراطورية النمسا - المجر. وخططت النمسا لسحق صربيا ولكن تدخل الروس ودخولهم الحرب، قلب الخطط النمساوية رأساً على عقب. فعلى القوات النمساوية الآن التوجه إلى الجبهة الروسية. وبعد عدة اشتباكات عند حدود جبهات ماقبل الحرب، توقف القتال. وأظهرت حدة العداء نشاطاً دبلوماسياً وعسكرياً محموماً في كل

مكان من البلقان. ومن غير إبطاء، أعلن الحلفاء[٩٤] الحرب ضد العثمانيين في محرم ١٣٣٢هـ كانون الأول ١٩١٤م.

وهرعت كل من قوى الحلفاء[٩٥] والمحور، لخطب ودّ دول البلقان، وابتدأت المساومات وأرادت بلغاريا الجزء من الأراضي الذي ألحق بالصرب واليونان من تراقيا ومقدونيا بعد حرب البلقان الثانية، وأرادت رومانيا جزءاً من «ترانسلفانيا» - وهي من رومانيا الوسطى - والأقاليم المجاورة.. من أراضي هبسبورغ. أما اليونان فإن أطماعها تركزت على الأناضول وعلى امتلاك العاصمة، «استانبول»، وكانت دول المحور قادرة على إعطاء وعد لتلبية معظم رغبات البلقان، فصربيا - بنظرهم - ستكون الخاسر الرئيسي، وكان الحلفاء قادرين - أيضاً - على تهدئة شرّه رومانيا، وبقيت مطامع اليونان هي العقبة الكأداء، فروسيا تتوق لاحتلال «استانبول»، أيضاً .

وأينعت جهود الحلفاء والمحور في تكتيل دول البلقان ببطء شديد امتد حتى عام ١٣٣٥هـ ١٩١٧م، وكان البلقان أول من بدأ الدخول فهي حلبة الصراع بالتحالف مع المحور عام ١٣٣٣ هـ ١٩١٥م، وبدا تغير الوضع الاستراتيجي لدرجة كبيرة في البلقان.

وكان أول تحرك عسكري هو ماقام به الانكليز. ففي ربيع الأول أو الثاني ١٣٣٣هـ شباط ١٩١٥ م، ضرب الاسطول الملكي البريطاني القلاع العثمانية في الدردنيل، وحاولت بعد شهر السفن الحربية البريطانية شق طريقها عبر

---

(٩٤) انظر: العثمانيون والبلقان (ص ٢٦٣ - ٢٦٧).

(٩٥) الحلفاء ALLIES: تعبير يطلق على الدول التي حاربت دول وسط أوروبا في الحرب العالمية الأولى ودول المحور في الحرب العالمية الثانية، وأهم دول الحلفاء في هاتين الحربين: بريطانيا، فرنسا، الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا. م . المورد العربية ج١ (ص٤٤٥) المحور: ألمانيا، المجر، النمسا، والامبراطورية العثمانية (المرجع السابق ص ٢١٦).

المضائق، ونزلت في ٢٥ نيسان ١٩١٥ م (١٠ جمادى الآخرة ١٣٣٣ هـ) على الجانب الأوربي من غاليبولي، كي تقضي على الدفاعات العثمانية، وتفتح الطريق الى استانبول أمام الأسطول. وكان العثمانيون قادرين على إيقاف التقدم قبل أن يتمكن من تحقيق نصر استراتيجي[٩٦].

وكان التحرك الثاني من ايطاليا، فعلى الرغم من التحالف الدفاعي مع ألمانيا والنمسا والمجر، فإن الحكومة الايطالية بقيت على الحياد طيلة عام (١٣٣٢ هـ)-١٩١٤م.

ورغب القوميون الايطاليون بضم دالماسيا[٩٧] ومقاطعات نمساوية أخرى إلى بلادهم.

ورغم الممانعات الصربية فقد وافق الحلفاء على معظم المطالب الايطالية في معاهدة «لندن» السرية، وفتحوا جبهة جديدة ضد النمسا في الألب. وعبرت قوات ايطالية بحر الأدرياتيك واحتلت ألبانيا. وأتت-أخيراً-المساعدات الفرنسية والبريطانية للحكومة الصربية.. وتمكن الحلفاء في النهاية - من قصف القصر الملكي في أثينا - عاصمة اليونان - وإجبار الملك قسطنطين على التنازل عن العرش في ١٢ حزيران ١٩١٧ م (١٣٢٥ هـ)، ثم نفي[٩٨].

أسباب الحرب العالمية الأولى:

كانت الحرب العالمية الأولى... تعرف-أيضاً-بالحرب الكبرى

---

(٩٦) انظر: العثمانيون والبلقان (٢٦٣ - ٢٦٧).

(٩٧) دالماسيا: منطقة ساحلية على الأدرياتيكي - الآن - في جمهورية كرواتيا من مدنها: سبليت، زادار، دوبروفنيك (لؤلؤة الادرياتيكي)، رياكا، وتنتشر تجاه دالماسيا نحو: ٦٠٠ جزيرة، منها خمسون جزيرة مأهولة (المنجد في الأعلام ط ١٦ ص ٢٤٥).

(٩٨) العثمانيون والبلقان (ص٢٦٣ - ٢٦٧).

حتى نشوب حرب ١٩٣٩ م، وأسبابها عديدة منها: نزعة ألمانيا الى التوسع والاستعمار، ظهور تحالفات جديدة في أوروبا قلبت المواقف، أهمها بين انكلترا وفرنسا، حروب البلقان وبروز القوميات فيه ونضال شعوبه لنيل الاستقلال من بداية انحلال الامبراطورية العثمانية، حركة تركيا الفتاة، تنافس روسيا مع النمسا ـ المجر ـ في حماية الأقليات، أما السبب المباشر، فكان اغتيال الارشيدوق «فرانسوا فرديناند» ـ ولي عهد النمسا.

.. اشتعلت الحرب في جميع أنحاء أوروبا وشملت بحار العالم، ـ اشتهرت بحرب الخنادق. وامتدت الى تركيا والشرق[٩٩] وقامت الثورة العربية[١٠٠].

نتائجها:

أدت (هذه الحرب) الى اندحار ألمانيا وخسارتها مستعمراتها في افريقيا وتخليها عن (الالزاس واللورين)[١٠١]، وتفكك امبراطورية النمسا ـ المجر ـ، وظهور دول جديدة في أوروبا الوسطى، وزوال الامبراطورية العثمانية، وانشاء عصبة الأمم.

اشترك فيها (٦٥) خمس وستون مليون مجند، القتلى نحو تسعة ملايين من العسكريين.. وقدر عدد الضحايا من المدنيين بعشرة ملايين عدا المشوهين[١٠٢].

---

(٩٩) انظر: المنجد في الأعلام ط ١٦ (ص ٢١٦).

(١٠٠) الثورة العربية: ١٩١٦ ـ ١٩١٧ م (١٣٣٥ ـ ١٣٣٦ هـ) قام بها الشريف حسين بن علي وابنه فيصل ضد الحكم العثماني، انطلقت من المدينة المنورة وساندتها جيوش الحلفاء فبلغت فلسطين وسورية وحررت الحجاز والاعتراف بالحسين ملكاً عليه (المنجد في الأعلام ط ١٦ ص ١٩٢).

(١٠١) الألزاس واللورين: يشكلان منطقة واسعة استولت عليها ألمانيا عام ١٨٧١ م واستعادتها فرنسا في الحرب العالمية الأولى (المنجد ص ٦٣).

(١٠٢) انظر المرجع نفسه (ص ٤٦٧).

.. سارت الحرب بين الحلفاء وألمانيا وتركيا في جميع الجبهات، في الشرق وأوروبا، ولكنها كانت في النهاية، الهزيمة لتركيا، وسُلب منها كل ما كان تحت ظل الدولة العثمانية..

.. وعلى ظهر الباخرة الانكليزية «اغاممنون[١٠٣]».، التقى مسؤولون أتراك وانكليز ووضعت شروط للهدنة، وأعلنت الدولة استسلامها.

كان الاتحاديون أثناء حكمهم القصير الذي لايتجاوز عدة سنوات، قد أضاعوا كل أجزاء الدولة في أوروبا، اذ استقلّت امارة بلغاريا، واحتلت النمسا البوسنة والهرسك وأخذت اليونان جزيرة «كريت[١٠٤]».. واحتلت ايطاليا ليبيا وبعض جزر المتوسط.. ومع هذا، فقد سيطرت الفكرت القومية التركية أو الأفكار الطورانية[١٠٥].

---

(١٠٣) اغاممنون: اسم أحد ملوك اليونان في حصار «طروادة» وسميت الباخرة باسمه انظر: المرجع السابق نفسه (ص ٥٣) وطروادة أو اليون Troie مدينة قديمة في تركيا.. خربتها حروب وزلازل عديدة، أشهرها حرب اسطورية قام بها اليونانيين وحاصروها «١١٩٣ ـ ١١٨٤ ق م» ذكرت في الياذة هوميروس انظر: المرجع السابق (ص ٣٥٦).

(١٠٤) كريت Gret أطلق عليها العرب اقريطش جزيرة يونانية في المتوسط ٣٣٦ / ٨ كم^2 (٥٠٠,٠٠٠ نسمة) عاصمتها خانيا.. تنازعها العرب والبيزنطيون (المنجد في الأعلام ط ١٦ ص ٤٦٢).
وصل المسلمون إلى كريت قبل منتصف القرن الأول الهجري ولم يتمكنوا من فتحها.. وفي عام ٢١ هـ ٨٢٥ م وصلت جماعة من الأندلس بقيادة عمر بن عيسى على ظهر أربعين سفينة. وتم فتحُ الجزيرة وحكْمُها من قبل المسلمين حتى ٣٥٠ هـ ٩٦١م، وعاد الروم اليها.. واتصل أهلها المسلمون بالعثمانيين الذين فتحوا الجزيرة ١٠٨٠ هـ ١٦٦٩م ودخل كثير من أهلها بالاسلام حتى أصبح نصف سكانها من المسلمين.. وبعد ضعف العثمانيين حكمتها اليونان فأُجْبر قسم من المسلمين على الهجرة، وتكاد تخلو منهم اليوم .. انظر: المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية (ص ١٨ ـ ٢١).

(١٠٥) انظر: التاريخ الاسلامي ـ العهد العثماني ـ (ص ٢١٧ ـ ٢٢٣).

العثمانيون والبلقان بعد انتهاء الحرب

انتهت الأعمال العسكرية التي اكتنفت ربوع البلقان في ٢٣ ذو الحجة ١٣٢٧ هـ و٣٠ أيلول ١٩١٨ وقبل البلغار الهدنة وكذلك الدولة العثمانية قبلت شروط الهدنة في ٣٠ تشرين الأول (أي بعد انتهاء الأعمال العسكرية)، وكان من شروط الهدنة السماح للقوات البريطانية بالتقدم عبر الدردنيل واحتلال العاصمة العثمانية الاستانة

وفي هذه الظروف، انعقد المجلس الوطني القومي للكروات والسلوفينيين في زغرب[١٠٦]. وأعلن استقلال «يوغسلافيا» في ٢٩ تشرين الأول ١٩١٨ (٢٣ محرم ١٣٢٧ هـ) ويعني الاستقلال الأراضي التي يسكنها السلاف الجنوبيون. وقبل الوصول الى تسوية مع الصرب جرى اتفاق مبدئي في «جنيف[١٠٧]». مالبث أن رفض وانتهك جزئياً، وانهار مجلس زغرب وأعلنت «ملكة يوغسلافيا التي تضم: الصرب والكروات والسلوفينيين، واختاروا

---

(١٠٦) زغرب ZAGREB: عاصمة كرواتيا على نهر «سافا».

(١٠٧) جنيف geneva: مدينة سويسرية تقع في الجزء الجنوبي الغربي منها، وعلى الطرف الجنوبي من بحيرة «ليمان»، وردت اليها أولى الاشارات في القرن الأول قبل الميلاد، ولكن ثمة قرائن تدل على انها استوطنت قبل ذلك ببضعة قرون. كانت في مابين الحربين العالميتين الأولى والثانية مقر «عصبة الأمم»، ثم أصبحت بعد الحرب العالمية الثانية، المركز الأوربي للأمم المتحدة سكانها (٢٠٠.٠٠٠ نسمة) م. المورد العربية ح١ (ص٣٩٩).

«بلغراد» عاصمة لها، ثم جرى انقلاب سياسي في الجبل الأسود وخُلع أميرها، واندمجت في كيان الدولة الصربية الجنوبية الجديدة، وبقيت بعض المشكلات دون تسوية، مثل قضية الصرب والكروات[١٠٨].

مؤتمر السلم ونتائجه:

انتهت الحرب العالمية الأولى وانعقد مؤتمر السلم في باريس ١٨ كانون ثاني ١٩١٩ م» (١٥ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ)، وأقر معاهدات منفصلة لكل دولة انهزمت في الحرب الأولى: معاهدة «سان جيرمن» ومعاهدة تريانون» ومعاهدة سيفر[١٠٩] التي وقعت في ١٠ آب ١٩٢٠ م (ذو العقدة ١٣٣٨ هـ)، وبها تنازلت تركيا عن أراض كثيرة، كما سوّت هذه المعاهدة عديدا من المشكلات البلقانية، ولكن سياسة تقرير المصير للقوميات المختلفة التي

---

(١٠٨) انظر: العثمانيون والبلقان (ص ٢٦٤ . ٢٧١).

(١٠٩) معاهدة سان جيرمن: عقدت في أحدى ضواحي باريس ضاحية سان جيرمن بُعَيد انقضاء الحرب العالمية الأولى بين الحلفاء وجمهورية النمسا الفتية في «١٠ سبتمبر» (ايلول) ١٩١٩ م (ذو الحجة ١٣٣٨ هـ)، بموجبها حلت مملكة النمسا ـ المجر الثنائية واعترف باستقلال هنغاريا (المجر) وبولندا ويوغسلافيا، انظر: موسوعة المورد العربية (م١ ص ٥٩٨)

- معاهدة تريانون: تحمل اسم المكان الذي وقّعت فيه وهو قصر التريانون بحدائق فرساي في ضواحي باريس، عقدت بين حلفاء الحرب الأولى (باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والمجر) وقعت في ٤ يونيه حزيران ١٩٢٠ (رمضان ١٣٣٨ هـ) وقضت باستيلاء رومانيا على الجزء الأكبر من ترانسلفانيا واقليم بنات واستولت يوغسلافيا على اقليمي كرواتيا وسلوفينيا وبذلك فقدت المجر منفذاً لها على البحر الأدرياتي وفقدت نحو ثلث مساحتها، وضم سلوفاكيا وروثينيا الى تشيكوسلوفاكيا انظر: القاموس السياسي أحمد عطية الله، ط٣، دار النهضة العربية القاهرة ، ص ٢٨٨

- معاهدة سيفر: باسم مدينة سيفر الفرنسية على السين ضاحية باريس (المنجد ص ٣٢١)

تعاني من مشكلات مختلفة، عانت صعوبات جمة.

شاركت الأقليات التركية والتتارية الاسلامية القاطنة على طول الساحل الروماني والبلغاري على البحر الأسود في اقرار الوضع.. واختلفت أوضاع القوميات البلقانية إلى درجة كبيرة.. وقام المنتصرون في الحرب بصب جام غضبهم على المهزومين، وأخذ الانتقام ينتشر وينصب الحقد على الأقليات التركية والمجرية والايطالية التي خضعت لتمييز (كبير)، لذلك كانت أوضاع البلقان الجنوبية في سني مابعد الحرب الأولى من أكثر المشكلات تعقيداً[١١٠]

فالحركة القومية التي تزعمها «مصطفى كمال أتاتورك[١١١].»، رفضت بنود معاهدة «سيفر» التي فرضت بتخلي تركيا عن كثير من ممتلكاتها، وهاجم اليونانيون - الذين أغرتهم شهوة التوسع - البر التركي في الأناضول وكلهم أمل في إجبار الأتراك على قبول الهزيمة، ولكنهم لاقوا الهزيمة المرّة، وأجبرهم الأتراك على التقهقر والارتداد!

وفي تموز ١٩٢٣ م (١٣٤٢ هـ) عقد مؤتمر جديد للسلم في مدينة

---

(١١٠) انظر: العثمانيون والبلقان (ص ٢٦٤ - ٢٧١).

(١١١) أتاتورك (أبو الأتراك): ١٨٨٨ م (١٣٠٥ هـ) ولد بسالونيك اليونانية، كانت ميوله غربية، غير متمسك بالروح الاسلامية، ويقال أنه من يهود الدونمه الذين أظهروا الاسلام وأخفوا ديانتهم.. أسفر عن نياته ضد الاسلام حين تولى الحكم.. الغى الوقف الاسلامي، وكانت خطته ابعاد الهوية الاسلامية عن الشعب التركي وربطه بذيل الغرب.. أقفل التكايا وأمر رجال الدين ألا يرتدوا الزي الديني الرسمي، الغى التقويم الهجري.. وجعل العطلة يوم الأحد بدلاً من الجمعة.. أبدل الحرف العربي بالحرف اللاتيني.. ولقطع كل علاقة بالشرق جعل الأذان باللغة التركية.. وألغى الخلافة الاسلامية نهائياً من تركيا..
انظر: اليقظة الاسلامية في مواجهة الاستعمار /أنور الجندي/ دار بوسلامة، تونس ط ٢، ١٩٨٥ م (ص ١٢٤ - ١٢٦) وانظر: الحركة الاسلامية في تركيا/د. ابراهيم دسوقي شتا القاهرة ط١ /الزهراء للاعلام العربي ١٩٨٦ م (ص ٣٩ - ٤٠). وانظر: موسوعة التاريخ الاسلامي /أحمد شلبي (م ٥، ص ٩١٥ و ١٣٤)

«لوزان[١١٢]..» السويسرية، وبموجبه انتهت حالة الحرب مع تركيا. وفي هذا المؤتمر تقرر مبدأ تبادل السكان بين تركيا واليونان تحت اشراف عصبة الأمم، كما جرى تبادل السكان مع بلغاريا بموجب اتفاق آخر، منفصل، انتهت في عام ١٩٢٧ م (١٣٤٢ هـ) عملية النزوح الكبير الذي كان بسبب الأحقاد الصليبية.

وبذلك جرت التصفيات الأساسية للمشكلات القومية البلقانية، وأتاح ذلك بعض الهدوء لبركان الصراع القومي، الذي مايزال بين بالآونة والأخرى يظهر هذا الصراع بأشكال مختلفة اليوم[١١٣].

(.. ومع كل ماحصل كان للعثمانيين الفضل في أنهم غرسوا في أرض اوروبا شجرة أسلامية باسقة فرعاها: البانيا والبوسنة)

السلطان سليمان القانوني وقد سار خلفه خيرالدين باربروسا قائد البحرية العثمانية والى جانبه قائد القوات البرية في أحد شوارع استانبول

(١١٢) لوزان lousane مدينة سويسرية مركز سياحي فنادق عالمية، صناعة سيارات

(١١٣) انظر: العثمانيون والبلقان (ص ٢٦٤ - ٢٧٢).